الحجاج البلاغي بين إقناع المتلقي وإلزامه
دراسة في حوارات سيدنا إبراهيم عليه الصلاة السلام في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور نشأت علي محمود م.م. عليا أحمد باليساني

doi:10.23918/ilic2019.21

المقدمة

تعد نظرية الحجاج من أهم النظريات اللغوية الحديثة التي خالفت النظريات اللغوية السائدة في بيان وظيفة اللغة كما خالفت هذه النظريات في طريقة التعامل مع النص اللغوي، فقد خالفت الأقوال التي ترى أن اللغة ماهي إلا تمثيل وتوصيف للواقع كما هو الحال عند أصحاب النظرية الوصفية للغة، كما خالفت التيار الذي رأى أن وظيفة اللغة الأساس في التواصل وبث الأفكار بين الناس كما هو الحال عند جاكبسون ومن تبعه، مع أن أكثر النظريات اللغوية الحديثة أو كلها إنما هي نتاج نظريات سبقتها فتضيف عليها أو تتخذ من بعض مقولاتها أساسا لوضع لبنات نظرية لغوية حديثة.

أهمية البحث:تكمن أهمية هذا البحث في بيان المباحث الحجاجية القيمة في البلاغة العربية من ثنايا حوارات نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، لتكون مثل هذه الحوارات القرآنية بأساليبها وطرائق عرضها وملابساتها مثالا يحتذى لمن يتصدى للحجاج والاستدلال سواء أكان الحوار اجتماعيا أو دينيا أو اقتصاديا أو سياسيا ولاسيما أن حوارات القرآن الكريم قامت على إقناع المتلقي والتأثير فيه.

خطة البحث:جاء هذا البحث في تمهيد ومبحثين فأما التمهيد فقد كان بعنوان(الحجاج اللغوي –المفهوم والنشأة–) ليبين مفهوم الحجاج فإن الحكم على الشي فرع تصوره،كما أن معرفة أسباب النشأة توضح لنا الوظيفة وطريقة الإنجاز الحجاجي.ثم تلاه المبحث الأول الذي كان بعنوان(الإنجاز الحجاجي في البلاغة العربية) وقد جاء في مطلبين :فاتخذ الأول عنوان(مواضع الحجاج في البلاغة العربية) ثم كان الثاني بعنوان(طرائق بناء الحجاج في البلاغة العربية) ليبين هذا المبحث بمطلبيه قيمة البلاغة العربية وقوتها في مباحثها الكلية والجزئية وليعرف بإنجازات البلاغة العربية التي اتخذها القرآن الكريم مناطا لإعجازه ولبيان أن معطيات البلاغة العربية قد سبقت كثيرا من المفاهيم اللغوية التي طرحتها النظريات اللسانية الحديثة، ثم جاء المبحث الثاني الذي أنجز بعنوان (الإنجاز الحجاجي في حوارات النبي إبراهيم (عليه السلام)) ليبين طريقة إنجاز ابراهيم عليه السلام حججه على قومه، وقد وقع في ثلاثة مطالب ،فأما المطلب الأول فقد كان بعنوان(استعمال الأنفع في الألفاظ) فاختيار ابراهيم عليه السلام الألفاظ المفردة المناسبة يمثل قيمة حجاجية مؤثرة في المتلقي ثم جاء المطلب الثاني الذي كان بعنوان(استعمال الأنفع في اساليب حجاج ابراهيم عليه السلام) وختم المبحث بالمطلب الثالث الذي كان بعنوان(طرائق عرض الحجج عند ابراهيم عليه السلام) ،ثم خلص البحث إلى أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

منهج البحث: اتخذ البحث المنهج التحليلي الوصفي ضمن مسار اللغة بمعطياتها الدلالية ومسار البلاغة بمعطياتها التأثيرية،وهذا المنهج يتناسب مع العنوان والموضوع ولاسيما أن نصوص القرآن الكريم تقتضي المسار التحليلي الدلالي البلاغي لأن مناط الإعجاز البلاغي هو البلاغة في نظمها وأساليبها.

التمهيد : الحجاج اللغوي (المفهوم والنشأة) : إن البدايات الأولى لوضع لبنة الحجاج مفهوما وإنجازا كانت فيما بحثه أرسطو في مواضيع الخطابة والبلاغة، والخطابة عنده هي((قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة))[١]، وقد اهتم أرسطو بالحجاج الذي جعله ضمن الخطابة، وبين أنه ليس له علاقة بإقناع المتلقي لأن وظيفته تقتصر على ((التعريف بالمقنعات في كل أمر من الأمور))[٢]، ولأن الحجاج علم مثل سائر العلوم، فليست وظيفته إنجاز الفعل، أي الإقناع بل الغرض منه هو التعريف بطرق الإقناع كما أن وظيفة الطب ليست شفاء المريض بل التعريف بأنواع الصحة والمرض؛ لأن الحجاج في حقيقته هو وصف الكلام الدائر بين المتحاججين، ويلزم منه وجود المتكلم الذي يسعى إلى إقناع الآخر(المتلقي)

---

[١] الخطابة/٩.

[٢]المصدر نفسه/٢.

فالإقناع وصف المتكلم والاقتناع وصف المتلقي، فإنجاز عملية الاقتناع ليست من وظيفة الحجاج، وبهذا التوصيف لعملية الحجاج كان الحجاج عند أرسطو قائما على ثلاثة محاور هي[١]:

١- **المتكلم:** فإن سمة المتكلم وأوصافه وأوضاعه التي يراها المتلقي لها تأثير في عملية الإقناع ولهذا رأى أرسطو أن الصالحين هم الين يصدقهم الناس سريعا في أكثر الأمور.

٢- **المستمع:** وذلك بأن يكون السامع مهيّئاً لاستماع الكلام، فحال الفرح ليس كحال الحزن وحال الغفلة ليس كحال التنبه وحال الانفعال ليس كحال التروي.

٣- **الكلام:** أي الأقوال التي تحمل الحجاج، وذلك فيما يقع فيه من مسائل سليمة وصحيحة. وهذه المسائل قد تكون يقينية لاتحتمل النفي وقد تكون محتملة، ففصل أرسطو البرهان (اليقينيات)عن الاحتمالات، ورأى أن عملية الإقناع إنما تخفى وتصعب في الاحتمالات وليس في البراهين لأنَّ البراهين قائمة على اليقينيات التي لايمكن دفعها عن النفس[٢].

لقد قامت نظرية الحجاج في الدراسات اللسانية على لبنات مفاهيم أرسطو في الحجاج والبلاغة ثم أضيف إليها مفاهيم ومقتضيات تواصلية ولغوية جعلتها تدخل في دائرة البحث اللغوي اللساني وإن كان الحجاج باعتباره أسلوبا إقناعيا يدخل في كل العلوم –كما تقدم عن أرسطو–على اعتبار حاجة الناس إليه في إظهار معرِّفات الإقناع، وقد استثمر أصحاب نظرية الحجاج هذا الأمر–أي دخول الحجاج في كل العلوم–؛ لأن اللغة بطبيعتها الوظيفية(الغرض منها) والتكوينية(الأقوال= الكلام) تحتاجها كل العلوم، فاللغة أداة للتعبير عن حاجيات الناس ومقاصدهم، فهذه إرهاصات نشوء نظرية الحجاج اللسانية، وأما النشوء الحقيقي لنظرية الحجاج فيمكن إيجازه بما يأتي.

نشأة نظرية الحجاج اللسانية: سنبين بإيجاز كيف نشأت نظرية الحجاج اللغوية لنفهم بعد هذا ماتحمله البلاغة العربية من مفاهيم حجاجية مستوعبة وقدرات أسلوبية متمكنة في صناعة الحجاج، ثم لنعلم الأساليب الحجاجية القيّمة التي استعملها القرآن الكريم متخذين من حوارات سيدنا إبراهيم عليه السلام أنموذجا لها كما هو محور البحث. لقد قامت نظرية الحجاج اللسانية على أمرين اجتمعا ونسجا نسجا خاصا من أجل تكوين هذه النظرية:

أحدهما:مفاهيم الفيلسوف القانوني البلجيكي شاييم بيرلمان(١٩١٢–١٩٨٤): وهو كان استاذا في القانون في جامعة بروكسل، وقد نظر بيرلمان في البلاغة الأرسطية وحاول أن يعيد تأثير البلاغة في الخطاب اللغوي، من أجل استثمارها في المرافعات والمناظرات القانونية والمجتمعية، ولكنه تجاوز البلاغة الأرسطية المقيدة التي وصفت بالجامدة والمحصورة في المحسنات البديعية والألفاظ المنمقة، ثم إنه أخذ من مفهوم الإقناع والتأثير في السامع(المخاطَب) نقطة إنطلاق إلى تأسيس نظريته على اعتبار أن بنية اللغة هي بنية حجاجية، على اعتبار أننا إنما نقول من أجل التأثير في المتلقي، ويمكن توضيح هذا الأمر كما يأتي:

١- لقد رأى بيرلمان أنَّ البلاغة قائمة على الحجاج معتبرا أنَّ أي رسالة (مكتوبة أو مقروءة أو مشاهدة أو إشارية) تتضمن مفهوما حجاجيا بما في ذلك التضمين والاقتباس والشواهد التي يأتي بها المتكلم، لقد ركز بيرلمان نظره على البنية الحجاجية ولهذا لم ينظر إلى طريقة التواصل مع الناس ولا إلى نوع التواصل ونوع الأسلوب، بيد أن بيرلمان لم يهمل السياق الذي ينساق فيه الحجاج فلابد من مراعاة حال المتلقي في إطار إلقاء الخطاب الحجاجي ((فلكي يستمد هذا الخطاب نفاذه المطلوب عليه أن يضع في الحسبان مستوى العقول التي يهدف إلى إقناعها ثم نوعيتها))[٣]، لقد أراد بيرلمان توسيع دائرة الحجاج المنطقي الذي وضعه أرسطو في كتابه (الخطابة) ودمجه مع البلاغة لينتج لنا حجاجا عمليا ميدانه الواقع الإنساني

---

[١] المصدر نفسه/٩–١٠.

[٢]الخطابة/١٥.

[٣] سوسيولوجيا الثقافة/٢٥، الطاهر لبيب،سوسيولوجيا الثقافة،معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة،ط١–١٩٧٨،ص٢٥.

وسمى هذا النوع بـ(البلاغة الجديدة)؛ لأن وظيفة البلاغة عند بيرلمان تتجه نحو التأثير في مخاطب واحد أو جمهور من المخاطبين، ولهذا سمى البلاغة بـ((فن الإقناع))[١]، وهذا التأثير يحقق ثلاث وظائف هي[٢]:

١- إعادة تشكيل أفكارالمخاطبين، أي بالتأثير في التفكير العقلي وإعادة تشكيل طريقة التفكير.

٢- إذكاء عواطف المخاطبين أو إخمادها، بالتأثير في المشاعر والعواطف المؤثرة في اتخاذ القرار عند الجمهور.

٣- توجيه أفعال المخاطبين، وهذه المسألة تأتي في مرحلة متقدمة، فتأتي بعد المرحلتين السابقتين باعتبارها نتيجة الإقناع ومن مقتضيات الاقتناع، فاستثمر بيرلمان الحجاج من أجل حل المشاكل الاجتماعية عن طريق اقتناع الجمهور ومن هو في حكمه بأفكار المخاطِب (المتكلم).

ولهذا فإنّ الخطاب الحجاجي (الحجاج البلاغي) عند بيرلمان يخالف البرهان المنطقي، فالبرهان المنطقي يستند على مقدمات يقينية توصل إلى نتائج صادقة ضرورة صدق مانتج من اليقين، وهذا النوع من الحجاج يحدّ من التعددية الفكرية بواسطة فرض نموذج وحدة الحقيقة، وأما الحجاج البلاغي فلا يهدف إلى البرهنة على قضية منطقية بل يهدف إلى إقناع الجمهور(أو من هو في حكمه) ورفع نسبة تأييده بالقضية التي هي موضع الحواروالمناقشة للوصول إلى الاتفاق العام[٣]، ولاشك أن الدرس الحجاجي هو درس لساني لغوي بامتياز ولكنه بسبب الغرض الذي يستهدفه وقدرته على استيعاب أي موضوع مادام في دائرة الاحتمالات أي في دائرة المقدمات غير اليقينية فإن الدرس الحجاجي صار وجهة الباحثين في الشريعة والقانون والإعلام وعلم النفس والفلسفة وغيرها من العلوم الإنسانية، ولكن بيرلمان لم يغفل مسألة مهمة في الحجاج البلاغي وهي أن المسائل المعروضة على المخاطبين قد تكون مقنعة لمخاطَب دون آخروقد يتقبلها بعض الجمهوردون بعضه الآخر،فكان نظر بيرلمان متوجها إلى ماياناسب تحقيق وظيفة الحجاج وهي التأثيرفي قناعات الجمهورفي القضايا العامة[٤].

الثاني أفكار اللساني ديكرو التي كانت امتدادًا وتطويرًا لنظريَّة الأفعال اللغوية، فـ(ديكرو) يعُدُّ الحِجاجَ فعلًا لغويًّا خاصًّا، والحِجاج بالنِّسبة لنظريَّة الأفعال اللغوية هو إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخِطاب[٥]؛ أي: متواليات مِن الأقوال والجمَلِ، بعضها بمنزلة الحُجَج، والبعض الآخر بمنزلة النتائج المستنتجة منها فأعاد تعريف الإنجاز اللغوي للأفعال الكلامية، ففعل التكليم أو الإنجاز عنده هو ((فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية أي مجموعة من الحقوق والواجبات))[٦]، فالفعل الحجاجي عند ديكرو بُنيَ على محورين هما:

١- محورالتأثير والإنجاز وليس الدلالة على المعنى: فقد اعتبر ديكرو أن نظريته تتحدث عن بدء تنفيذ الملفوظات في خطاب ما لا على معلومات تدل عليها الملفوظات بمعزل عن أي خطاب، أي إن ديكرو أراد أن يعزل الحجاج عن البرهنة بالقياس المنطقي باعتبار أن تسلسل الملفوظات في القياس المنطقي لايتأسس على الملفوظات في حد ذاتها ولكن على القضايا المعبّر عنها بوساطة تلك الملفوظات فهي تتأسس على ماتقوله الملفوظات أو تفترضه في العالم، وأما الحجاج الذي أراده ديكرو فإنَّه يختلف تماما عندما يتعلق بالخطاب؛ لأن الحجاج الخطابي مبني على القول نفسه وعلى ماتتضمنه الأقوال من إحالات على متتاليات مستدعاة من الأقوال نفسها وليس على ماتفترضه في العالم، وهذه المتتاليات كامنة في الأقوال وهي التي تستدعي تأثيرا في المخاطب،والقيمة الحجاجية عند ديكرو تتمثل في تسلسل لثلاثة مسارات هي[٧]:

١- الإقناع: وهي العملية القائمة على بيان معرِّفات الإقناع للوصول إلى حالة الإقناع.

٢- التأثير: وهي العملية التي يقصد بها تغيير قناعة المتلقي للوصول إلى حالة الإنجاز التي هي المرحلة الثالثة.

---

[١] فلسفة الحجاج البلاغي/٨٠.

[٢] المصدر نفسه/٨-٩.

[٣] المصدر نفسه/٤٦.

[٤] المصدر نفسه/٤٧.

[٥] المصدر نفسه/الصفحة نفسها.

[٦] فلسفة الحجاج البلاغي/٤٧.

[٧] الحجاج في اللغة/٥٨.

٣- الإلزام: وهو غاية الحجاج ومقصده الأعلى.

وإن كان ديكرو في آخر نظراته الحجاجية رأى أن القيمة الحجاجية لأي قول فيما يتضمنه من قيمة إلزامية في بنية الأقول نفسها وبواسطة المواد اللغوية التي قام بتفعيلها ضمن القضية اللغوية، وفي هذا المعنى يقول ديكرو((حسب وجهة نظرنا فإن كل ملفوظات اللسان تأخذ وتقتلع معناها من جرّاء كونها تضطلع بدور من يُلزم المخاطَب باستخلاص صنف معين من النتائج))[١].

٢- محور موضوع الحجاج: لقد قام ديكرو بتطوير أفكار أوستين وسيرل فيما يتعلق بنظرية الأفعال اللغوية، وضمن نظريته الحجاجية المباحث اللسانية فأراد أن يكون موضوع الحجاج لسانيا تماما لقدرة اللغة على إحداث تحويلات تأثيرية إقناعية أو إلزامية في المخاطب بما تمتلكه من عوامل حجاجية وروابط لغوية تؤدي إلى النتيجة(التأثير في المخاطب أو إقناعه مثلا)، وإن كان بعد ذلك وسع مجال الحجاج ليشمل القول والفعل والكتابة والإشارة ليشمل الدوال الأربعة التي وضعها علماء المنطق للدلالة على المعنى وهي (اللفظ والكتابة والعقد والنُصَب) ولكنه حول مسارها من الدلالة على المعنى(التوصيف) إلى قيمتها التأثيرية والإلزامية، ولكي تكون نظريته لسانية وليست عامة مطلقة مما يوحي بصلتها بالمنطق فقد ضبطها بحدود اللغة في وضع قوانين تحدد مسارها.

قوانين الحجاج:لقد قامت نظرية الحجاج اللساني على قوانين ضبطت مسارات إنتاج النصوص وتوجهها، وهذه القوانين هي قوانين لغوية،وهي:

١- **قانون الأنفع(قانون الأجدى):** إنَّ وحدات اللغة تتفاوت في درجات التعبير عن المقصود، فكل صيغة تحمل تأثيرا في المتلقي تختلف عن صيغة أخرى، فاختيار المتكلم لألفاظه نابعا من غايات حجاجية ((فالسؤال الذي يطرح هنا عند سماعنا خطابا ما هو: لماذا ترك المتكلم العنصر(ب) وعبر عنه بالعنصر(أ) وماوجه النفع في ذلك؟أي فيمَ كان العنصر (أ) أو الطريقة (أ) أنفع وأجدى من الطريقة (ب)؟))[٢]، ولابد من التنبه إلى أمر لم يُشِر إليه أكثر الباحثين وهو أن ديكرو لم يحصر قانون الأنفع في استبدال وحدة لغوية بوحدة لغوية أخرى، بل قصد أيضا من كلامه استبدال طريقة (أسلوب) بطريقة أخرى (أسلوب آخر)، ليكون قانون الأنفع شاملا الكلمات والأساليب، فقد يختار المتكلم أسلوب الحصر مثلا أو أسلوب التشبيه أو أسلوب الاستعارة لكي تتخذ القضية مسارا محددا بعيدا عن الاحتمالات التأويلية للمتلقي في اتجاهها إلى النتيجة، وهذا واضح من إطلاقه قانون الأنفع من دون تقييد بالكلمة المفردة.

٢- **الروابط الحجاجية:** لقد اهتم ديكرو بالروابط الحجاجية باعتبار أنَّها الأدوات التي تعبر بالقضية إلى النتيجة، ولاشك أنَّ هذه الأدوات لاتتضمن بنية لغوية تأثيرية سوى كونها تربط المقدمة بالنتيجة في تحقيق دور حجاجي معين فهي مهمة بهذا الاعتبار كما أنها تنبه إلى الاستلزام الذي تقتضيه المقدمة، ومن هذه الروابط (إذن، لأن، ولهذا، حتى، إذ، لكن، بل، بمأأن، مع ذلك) فلكل رابط حجاجي دور معين في القيمة الحجاجية للخطاب وفي بيان تفاوت قوة الحجاج.

٣- **العوامل الحجاجية:** نرى أنَّ ديكرو أخذ مفهوم العوامل الحجاجية من مفاهيم الموجهات المنطقية للقضايا، فالعوامل الحجاجية عنده هي التي تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقولٍ ما مثل (ربما وتقريبا وكاد وقليلا وكثيرا وما..إلا، وأكثر أدوات الحصر)[٣]، وفكرة الإمكانات الحجاجية مأخوذة مما بحثه علماء المنطق منذ أرسطو وذلك في بحثهم موجهات القضايا، فإنَّ كل قضية فيها نسبة محول إلى موضوع لابد أن تتضمن مقولة لغوية، والقضية المكونة من الموضوع والمحمول والنسبة لاتصدق عند المتلقي بمطابقة المحمول للموضوع فقط، بل قد يكون كذب القضية بعدم مطابقة الجهة لمادة القضية وهي الكيفية وهذه الجهات عند المناطقة ثمان وهي الضرورية المطلقة مثل (كل إنسان حيوان بالضرورة) والمشروطة العامة مثل (كل إنسان متحرك الأصابع بالضرورة) والوقتية المطلقة مثل (كل إنسان محمر الوجه بالضرورة وقت الغضب)

---

[١] السلالم الحجاجية/٣٨٩.

[٢] البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة(ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته)/٣٤.

[٣] الحجاج في اللغة/٦٤.

والمنتشرة المطلقة مثل (كل إنسان متنفس بالضرورة وقتا ما) والدائمة المطلقة مثل (كل فلك متحرك بالدوام) والعرفية العامة مثل (كل إنسان متحرك الدم بالدوام مادام حيا) والمطلقة العامة مثل (كل إنسان كاتب بالإمكان العام)، وإن لم تبيّن الجهة في القضية فهي قضية مطلقة[١].

لقد تعامل ديكرو مع هذه الموجهات على وفق مفهومه للحجاج اللغوي لأنَّ هذه الموجهات تتعامل مع الممكن والمحتمل فأفادته أي إفادة في تحقيق نظرته للخطاب الحجاجي، فكما أنه استبعد الاستدلال البرهاني اليقيني لكون بحثه في محاورات الناس وكلامهم العادي فقد استبعد من الموجهات مايتعلق بالضرورة والدوام وأبقى على المحتمل والمفترض والمتوقع – أي الذي يدخل في دائرة الإمكان– وجعلها عوامل حجاجية؛ لأنَّ هذه العوامل لاتؤثر في مفهوم القضية من حيث نسبة المحمول إلى الموضوع بل تؤثر في القيمة الحجاجية في كون القضية تحدد مسارات تأويلية معينة وتبعد احتمالات أخرى، فقد تكون القضية مقيدة بجهة وقتية مثلا وذلك كقولنا زيد كريم أحيانا بتحديد الجهة بالزمن أو زيد كريم زائرا بتحديد الجهة بجهة الحال (زائرا) أي في وقت زيارته، فهذا الإمكان الحجاجي يحدد مسارات القضية على وفق هذا التقييد، ولاشك أن نظر المتلقي حينئذ سيكون ليس إلى مفهوم القضية فقط، بل إلى الجهة المقيدة للقضية، بل قد تكون الجهة هي بؤرة النص وهي محط نظر المتكلم والمتلقي إذا كان المتلقي يعلم القضية ويجهل الجهة المقيدة، كقولنا: (دخل خالد الكلية ليلا) فبؤرة النص قد تكون في الإمكان الحجاجي (التقييد الزمني بالظرف) إذا كان المتلقي يعلم دخول خالد الكلية ولكنه لايعلم الوقت أو يظن أنَّ دخوله كان نهارا.

٤– **السلم الحجاجي:** تتدافع الحجج والدعاوى التي يقدمها المتكلم لإقناع المتلقي ولاشك أنَّ المتكلم يقوم بترتيب حججه لكي تكون أكثر قوة في إثبات الحجة، فيحاول دوما أن يصل إلى إثبات دعواه بأقل مجهود وأكثر كفاءة في القول وإقناعا عند المتلقي، والسلم الحجاجي الذي وضعه ديكرو يقوم على أمرين هما:

أ– مفهوم التلازم بين الأول والثاني (التلازم بين الحجة الأولى والثانية والثالثة ..)[٢].

ب– مفهوم الترتيب في قوة الحجج، فالحجج المتساوقة على موضوع معين لابد أن تتفاوت في قوة إقناعها بسبب نوع المتلقي وظروفه والكم المعرفي الذي يملكه فضلا عن سياق تلقي الكلام.

فالسلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية معينة بين الحجج، ومفهوم السلم الحجاجي يقتضي أن يبدأ المتكلم بأدنى الحجج مرتبة بحيث تكون كل حجة أعلى في المرتبة أقوى في دلاتها على المعنى المقصود[٣]، ويمكن التمثيل بما يأتي:

خالد طيب الأخلاق مع والديه

خالد طيب الأخلاق مع إخوته

خالد طيب الأخلاق مع جيرانه

خالد طيب الأخلاق مع أصدقائه

خالد طيب الأخلاق مع زملائه

خالد طيب الأخلاق مع خصومه.

فهذه كلها حجج تؤكد حسن خلق خالد، فقولنا: (خالد طيب الأخلاق مع خصومه) أقوى دلالة في كرم خلقه من الحجج التي تقدمته وهكذا في ترتيب السلم، فكل دليل يستلزم ماتحته من الأدلة، ويستلزم هذا أيضا أن نفي أحد الأدلة يكون نفيا لمدلوله، ولكن ترتيب السلم الحجاجي حالة النفي يقتضي العكس، أي قوة النفي تترتب ترتيبا عكسيا، إذ إنَّ نفي أدنى مايقع في السلم هو نفي أقوى لمدلول الخطاب، فنفي طيب خلق خالد مع والديه أقوى دليل على أنه غير طيب مع إخوته أو جيرانه وهكذا..

---

[١] البرهان في المنطق/ ١٩٧ ومابعدها.

[٢] اللسان والميزان/٢٧٧.

[٣] اللغة والحجاج للعزاوي/٢٠–٢١.

المبحث الأول

الإنجاز الحجاجي في البلاغة العربية

للوقوف على معطيات الحجاج وإنجازاته في البلاغة العربية سيعترضنا أسئلة في بداية البحث وهي:
هل تتضمن البلاغة العربية حجاجا؟، وهل أسلوب الحجاج وتقنياته مبحوث في الدراسات البلاغية؟ وهل يمكن القول إنَّ البلاغة كلها حجاج؟،كما ذهب إليه بعض المتحمسين لنظرية الحجاج باعتبار أنَّ لا كلام من دون حجاج لأن كل قول يلزم منه التأثير في المتلقي لإنجازعمل ما،وهل تعرضت البلاغة العربية لطريقة بناء الحجج؟.وقد جاء هذا المبحث في مطلبين للإجابة على هذه التساؤلات.

المطلب الأول

مواضع الحجاج في البلاغة العربية

لقد نبهت نظرية الحجاج اللغوية الباحثين في اللغة العربية على ماتختزنه البلاغة العربية– سواء أكان باعتبار فن الكلام والقول أم باعتبار المباحث المدروسة في البلاغة– من موضوعات حجاجية استدلالية، فالاستدلال والاحتجاج وجهة أكثر فنون البلاغة ومقصدها لأنَّ الاستدلال وبيان الحجة له مقام لاينفك عنه المتكلم، وقد وردت تعريفات كثيرة للبلاغة منها مايبرز أهمية الحجاج فيها وقيام أكثر أساليبها على الاستدلال المؤدي لإقامة الحجة على المتلقي الذي يلزم منه الإذعان وقد يستتبعه الإلزام المنجز لفكرة المحتج والمستدل، فقد نقل علماء البلاغة تعريفات للبلاغة بينوا فيها أنَّ الحجاج والاستدلال معنى يسري في أكثر أساليب البلاغة بل قد يكون لبُّها ونواتها، فقد قيل جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة[١]، فمعرفة طريقة إلقاء الحجة وموضع إلقائها وزمانه هو لبّ البلاغة وجماعها، والبلاغة عند العربي لها أغراض ومقاصد منها أن يكون القصد من الكلام هو إقامة الحجة[٢]، بل جعل الناقد البليغ أبو هلال العسكري الحجاج المحصل لغرضه وهو الإقناع أعلى رتب البلاغة، فالمشورة من الملك والرئيس محمودة في كل لسان ولكن عبد الملك بن صالح (١٩٦هـ) وهو أحد البلغاء والأدباء ذمَّ المشورة واحتج للاستبداد بالحجاج فقال: ((ماستشرت أحدا إلا تكبر علي وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتني الذلة فعليك بالاستبداد فإن صاحبه جليل في العيون مهيب في الصدور وإذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعضع شأنك ورجفت بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير))[٣]، ولسنا هنا في معرض الحكم على مقولته بل القصد أنَّ قوة البلاغة فيما تعرضه من أسلوب حجاجي مقنع وإن كان في نفس الأمر غير صحيح ولاسليم؛ ولهذا قال أبو هلال العسكري في معرض ذكره مقولة عبد الملك بن صالح ((أعلى رتب البلاغة أن يحتج للمذموم حتى يخرجه في معرض المحمود وللمحمود حتى يصيره في صورة المذموم))[٤]، ومن لطائف البلاغة العربية أنَّها جعلت السكوت بلاغة في مقابل الاحتجاج البلاغي، فقد يسمى السكوت بلاغة على سبيل المجاز لأنَّ السكوت هو أمر عدمي والبلاغة هي أمر وجودي لأنَّها متعلقة بالكلام، ويكون السكوت بلاغة حين لاينفع فيها إقامة الحجج وذلك في أحوال منها إذا كان المقابل جاهلا لايفهم الخطاب أو وضيعا لايرهب الجواب أو ظالما سليط يحكم بالهوى، أي إذا كانت الحجة لاتأتي ثمارها بأن تجلب السوء على المحاجج أو كانت المحاججة تعرى عن تحقيق المقصود[٥].

وإذا كانت البلاغة العربية قد بينت أهمية الحجاج في الكلام فإنها لم تأل جهدا في بيان مواضع الحجاج في فنون البلاغة وأساليبها، فقد مهر السكاكي في بيان أنَّ الحجاج يسري في كثير من فنون البلاغة، فعلم البيان المتضمن لفنون التشبيه والاستعارة والكناية قائم على الملازمات العقلية بين المعاني؛ لأنَّ وظيفة علم البيان هي التفاوت في إيراد المعنى الواحد بالزيادة

---

[١] كتاب الصناعتين:١/٢٠.
[٢] المصدر نفسه:١/٤.
[٣] المصدر نفسه:١/٥١.
[٤] كتاب الصناعتين:١/٥١.
[٥] المصدر نفسه:١/١٩.

في وضوح الدلالة أو بالنقصان فيه، وهذه الزيادة والنقصان لاتجري في المعاني الحقيقية بل تجري في المعاني الثواني والثوالث وهكذا لأنَّها حينئذ ستكون منوطة بقدر وضوح دلالات المعاني الثواني والثوالث عند المتلقي وذلك عند انتقال ذهنه من المعنى الأول إلى الثاني وهكذا، ولهذا قال السكاكي: ((وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لايتأتى إلا في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني))[١]، وهذا الانتقال من الملزوم إلى اللازم يكون به إثبات المعنى بالدليل كدعوى الشيء ببينة ولاشك أن دعوى الشيء ببينة أبلغ في إثبات دعواه بلا بينة[٢]، والتشبيه في قولنا هند كالبدر يتضمن ادعاء جمالية هند فأتى المتكلم بالدليل متبعا أسلوب التشبيه، والاستعارة مبنية على إقامة المتكلم دعواه لأن المتكلم يدعي أنَّ المعنى المذكور منقول من لفظ إلى لفظ آخر لمشاركة بينهما أو مناسبة بينهما، فالدعوى هي مايدعيه المتكلم من وجود معنى مشترك بين الكلمتين مثل قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾[٣] فالظلمات والنور استعارة للكفر والإيمان أو للضلال والهدى[٤]، وفي الآية دعوى أنَّ الكفر ظلمة والإيمان نور والدليل هو العلاقة بين الكفر والظلمات والإيمان والنور، ومن جميل الاحتجاج بالاستعارة قوله صلى الله عليه وسلم((لاتستضيئوا بنار المشركين))[٥] فاستعار النار للرأي والمشورة[٦] فقد جعل رأي المشركين في مايتعلق بالعقيدة يشبه النار فيحرق، ولايقصد الرسول صلى الله عليه وسلم النهي عن أي مشورة منهم ولكن تعليق الحكم على المشتق يدل على علية المأخذ، فتعليق النهي عن المشورة على وصف مشتق هو(المشركين) يدل على أن سبب النهي متعلق بوصفهم أو فيما له علاقة بوصفهم. والكناية تتضمن ادعاءً فيأتي المتكلم بأسلوب الكناية محتجا به على كلامه كقولهم (فلانة نؤومة الضحى) مدعيا أن فلانة وفيرة المال مخدومة غير محتاجة للسعي بنفسها في إصلاح مهمات البيت فهي تنام إلى الضحى لأنَّ لها خدما يسعون بدلا عنها[٧]، وقد أوفت البلاغة العربية حق الاحتجاج ببيان موضعه وأهميته، فليست البلاغة كلها حجاجا لأنَّ الحجاج والاستدلال من البلاغة وليس هو عينها وحقيقتها، فالبلاغة لها وجوه متعددة، ولهذا قال الجاحظ ((لم يفسّر البلاغة تفسير ابن المقفع احد قط. سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة. فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل. فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى))[٨]،وبعضهم جعل البلاغة في الإيجاز وبعضهم جعلها في الإطناب[٩]، فالبلاغة العربية قد قامت على استيعاب الأساليب بأنواعها ثم نظرت في مقاصد هذه الأنواع فأنجزت وعدها لتكون مناط إعجاز القرآن الكريم، ولكن لايمكن اختزال البلاغة العربية كفن للقول والكلام أو باعتبار مباحثها وفنونها لتكون هي والحجاج سواء بسواء؛ لأن البلاغة العربية أوسع من الحجاج مفهوما (باعتبار قضاياها المبحوثة) وإجراء (باعتبار الكلام الملفوظ والمباحث المدروسة)، وقد بين السكاكي بعد أن ختم بحث فنون البلاغة أنَّ مقام الاستدلال والحجاج بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام وأساليبه جزء واحد من جملة البلاغة وأن الحجاج هو شعبة فردة من دوحة البلاغة[١٠] فليس الحجاج هو البلاغة كلها كما أنَّ البلاغة لاتقصد الحجاج فقط،

---

[١] مفتاح العلوم/٣٣٠،//الإيضاح في علوم البلاغة/٤٨٧.

[٢] الإيضاح في علوم البلاغة/٤٨٧.

[٣] سورة إبراهيم/١

[٤] المثل السائر:١/٣٥٩.

[٥] مسند الإمام أحمد:١٨/١٩

[٦] المثل السائر:١/٣٦٠.

[٧] مفتاح العلوم/٤٠٢.

[٨] البيان والتبيين:١/١١٤.

[٩] البيان والتبيين:١/٩٩.

[١٠] مفتاح العلوم/٤٣٢.

فليس الحجاج هو المقصد الوحيد للبلاغة؛ لأنَّ مقاصد أساليب البلاغة تتوزع على خمسة مقاصد كلية وكل أسلوب من أساليب البلاغة راجع إلى واحد منها أو أكثر وهذه المقاصد الكلية لأساليب الكلام قد بحثها الأستاذ الدكتور نشأت علي محمود واستقرأها من مباحث البلاغة وبين موضع كل مقصد في فنون البلاغة وأساليبها، وهذه المقاصد هي مقصد الإيضاح والبيان ومقصد المبالغة وتكثير المعنى ومقصد الإيجاز ومقصد الجمال والإثارة ومقصد الإيجاز ومقصد الاستدلال والحجاج[١]، ولنذكر هنا المقصد الأخير ذكرا لا أهمية، فنقول:

إنَّ مقصد الاستدلال والحجاج يسري في كثير من مباحث البلاغة وفنونها وقد تقدم كلام السكاكي في أنَّ من يتعرض إلى مباحث علم المعاني والبيان يحتاج إلى الاستدلال والاحتجاج ولاسيما في علم البيان القائم على الدعوى وإقامة الحجة عن طريق الملازمات بين المعاني. وعلماء البلاغة لم يحصروا فنون الحجاج ومسائله تحت هذا المسمى بسبب سعة مباحث البلاغة ومقاصدها التي يصعب حصرها ولكنهم لم يألوا جهدا في الإشارة إلى بيان أهميته وبيان مسارات الاستدلال والحجاج وتثبيت مواضعه من فنون البلاغة، فكان تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي والحجاجي مرتبطا ارتباطا وثيقا بكثير من فنون البلاغة، وقد وضح السكاكي هذا أكثر على اعتبار أنَّ معرفة أسلوب نظم الدليل وإقامة الحجة على المتلقي مما يحتاجه البليغ بل كل متكلم، فمعرفة الحجاج علم، والاستدلال يجري في علم المعاني، فالاستدلال يجري في الجمل الخبرية وقد عنون السكاكي لهذا بقوله: ((في الاستدلال الذي جملتاه خبريتان))[٢]، والاستدلال يجري في الجمل الشرطية فعنون لهذا بابا فقال: ((في الاستدلال الذي جملتاه شرطيتان))[٣]، وذكرأنَّ علم البيان قائم على كيفية إقامة الدليل على الدعوى لأنَّ هذا العلم كلٌ متفرع إلى أجزاء فقال: ((إنَّ من أتقن أصلا واحدا من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب به أطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل))[٤].

وحاصل فكرة الحجاج عند علماء البلاغة أنَّ كل كلام قائم على أحد أمرين: فإما أن يكون موصلا إلى الإثبات أي بالموافقة عليه وإما أن يكون موصلا إلى النفي أي بمخالفته[٥]، وحينئذ يحتاج المتكلم إلى الحجاج للإثبات أو النفي، ولاشك أنَّ هذا من حيث النظر الذهني لمفهوم الإسناد وإلا فإنَّ كثيرا من النصوص لاتحتاج إلى استدلال بأن تكون توصيفا أو تأكيدا.

كيف يقع الحجاج في الكلام عند علماء البلاغة: بحث علماء البلاغة مكامن الحجاج في الكلام، لبيان مواضع الدعوى والدليل عليها، ففي كل حجاج دعوى يقيمها المتكلم ويأتي بالدليل على صحة دعواه، فكيف يكون الاستدلال في الكلام؟ وكيف يقع السند والدليل؟، وقد أرجع السكاكي الحجاج والاستدلال إلى أمر كلي لايخرج منه أي نص يتضمن حجاجا سواء أكان تشبيها أو استعارة أو كناية أو غير ذلك، وهو أنَّ المطلوب تحققه في ذهن المتلقي من تأثر به أو إذعان له أو إنجاز له في الواقع إما أن يقوم المحاجِج بإلزام المتلقي بمسألة بحيث يلزمه مقتضاها أو يقوم المحاجج بإلزام المتلقي عكس المسألة فيلزمه معاندتها وضدها[٦]، ثم تعرض السكاكي لمواضع الدعوى والدليل الذي يقيمه المتكلم بحسب فنون البلاغة ولاسيما في فنون علم البيان، كما يأتي:

١- كيف يقع الحجاج في التشبيه: وذلك أنَّ من يشبه الخد بالوردة في قوله (خدها كالوردة) فإنه قد جعل لازم الخد هو الحمرة الصافية أي نظر إلى اللازم (الحمرة الصافية) فحكم به على الخد ثم بعد ذلك شبه الخد بالوردة[٧].

---

[١] في لسانيات البلاغة العربية/١١.

[٢] مفتاح العلوم/٤٤١.

[٣] المصدر نفسه/٤٩٠.

[٤] المصدر نفسه/٤٣٥.

[٥] مفتاح العلوم/٥٠٥.

[٦] مفتاح العلوم/٥٠٥.

[٧] المصدر نفسه/الصفحة نفسها.

٢- كيف يقع الحجاج في الكناية: وذلك إذا قلنا (فلان كثير رماد القدر) فإننا نثبت كثرة الطبخ المستتبعة لكثرة الضيوف لنتوصل إلى أنَّ فلانا مضياف[١]، فالدعوى هي أنَّ فلانا مضياف، والدليل مأتينا به من كون قِدره كثير الرماد المستلزم لكثرة النار المستلزم لكثرة الطبخ، فأتينا بالدليل المادي الموصل للدعوى عن طريق المقتضيات.

٣- كيف يقع الحجاج في الاستعارة: كما في قولنا (في الحمام أسد) فإننا نريد أن نبرز من هو في الحمام في معرض شدة القوة والبطش مع الجرأة وكمال الهيئة، فاستعرنا (الأسد) لهذا الغرض ليتسم ذلك الإنسان بهذه الصفات[٢]، فالدعوى هي كون ذلك الإنسان ذا بطش وقوة وجرأة والدليل استعارة الأسد له لما يستلزمه الأسد من هذه الصفات كما هو معروف ومشهور بين الناس، فقد انتقل الذهن من الواقع وهو ذكر كلمة (الأسد) إلى مستلزمات تصور الأسد وهي الصفات المذكورة ثم لما حملنا الأسد على ذلك الإنسان أثبتنا تلك الصفات له استتباعا واستلزاما.

المطلب الثاني

طرائق بناء الحجاج في البلاغة العربية

إنَّ الحجاج ليس فنّا بلاغيا قسيما للتشبيه والاستعارة وغيرهما من فنون البلاغة مثلا كما أنه ليس أسلوبا كلاميا مثل أسلوب الاستفهام والتعجب والنداء مثلا بل هو طريقة في الكلام تسري في الخطاب من أجل تحصيل غرض التأثير والإقناع ثم إلزام المتلقي على إنجاز المطلوب، ولهذا فإنَّه من قبيل المجاز أن نقول أسلوب الحجاج مثلا لأنَّه ليس لنا أسلوبا كلاميا موصوفا بهذا الوصف لأنَّ الحجاج وصف يسري في الكلام بدلالاته اللغوية والسياقية من أجل التأثير في المتلقي وإقناعه أو إلزامه العمل وإنجاز المطلوب، وقد سبرنا مباحث البلاغيين في طريقة بناء الحجاج باعتباره طريقة في الكلام يجري في كثير من مباحث البلاغة فهو مثل الجزئي الذي يسري في الكلي فلايمكن انفصاله عن البلاغة كما أنه لايمكن أن نقول إنَّه هو البلاغة بعينها، وبعد النظر في تلك المباحث تبين أن طريقة بناء الخطاب الحجاجي من المنظور البلاغي يكون كما يأتي:

١- **تخير الألفاظ المناسبة:** فلكل خطاب نوع من الألفاظ، وقد أَلف الأدباء والبلاغيون كتبًا في هذا الشأن منها متخير الألفاظ لابن فارس والألفاظ الكتابية للهمذاني، وقد أوجب ابن الأثيرعلى من يتصدى لصناعة النص اللغوي المناسب والمؤثر أمورًا منها اختيار الألفاظ المفردة[٣]، فالألفاظ المفردة مثل اللآلئ المبددة المتفرقة فإنَّها تتخير وتنتقى قبل صناعة النص، وقبل عرض الحجة لابد من اختيار الألفاظ المناسبة للمقام، وليست العبرة في استعمال الألفاظ الفخمة أو المنمقة أو الغريبة أو السهلة أو المجلجة، بل العبرة باستعمال الألفاظ الجارية على قانون العربية والبعيدة عن الغرابة والوحشية.

٢- **التناسب بين الألفاظ:** وهذا يكون بعد التخير والانتقاء، وهذا الأمر قد استفاض ذكره عند علماء البلاغة، وعمود بلاغة الكلام ولاسيما الخطاب الحجاجي هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فضول الكلام في الموضع المناسب والأخص به والذي يكون مناسبا له، بحيث إذا أبدل اللفظ بغيره نتج منه أحد أمرين أو كلاهما وهما[٤]:

أ- تبدل المعنى الذي يكون معه فساد الكلام.

ب- ذهاب رونق الخطاب وجماله الذي يكون معه سقوط البلاغة وسقوط الكلام.

فاستعمال كلمة الحمد في غير موضع كلمة الشكر، والبخل غير الشح والنعت غير الصفة وابعث غير أرسل وذلك غير ذاك وهكذا، ومدار البلاغة عند أبي هلال العسكري على تخير الألفاظ، وتخير اللفظ المناسب لكل مقام أصعب من جمعه وتأليفه[٥]،وقد بيّن السكاكي أنّ مفهوم المقام الذي بحثه علماء البلاغة لايقتصر على مقام إلقاء الخطاب ومراعاة المتلقي، بل المقام يبدأ من تضام الكلمة مع أختها ومناسبة اللفظة مع صاحبتها، وقد بيّن السكاكي طريقة الشروع في صناعة النص السليم

---

[١] المصدر نفسه/الصفحة نفسها.

[٢] المصدر نفسه/الصفحة نفسها.

[٣] المثل السائر:١٤٩/١.

[٤] البيان في إعجاز القرآن/٢٩.

[٥] كتاب الصناعتين:٢٦/١.

الصحيح الذي يقتضي أن يكون بليغا فقال: ((ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام...))[١].

٣- **تخير الأسلوب الأمثل للجمهور:** فلكل أسلوب مقام، ولكل تركيب اعتبار مناسب له، ولهذا فالبلاغة ليست توصيفا منمقا لنصوص لغوية يعبر به عن جمال النص وحسن رونقه، بل هي تأدية كل معنى بطريقة مخصوصة وإيراد أسلوب التشبيه على مايناسب المقام وإلا فيتحول المتكلم إلى أسلوب الاستعارة مثلا أو الكناية أو يرجع إلى الحقيقة؛ ولهذا كان تعريف السكاكي للبلاغة موفيا لها حقها فقال في تعريف البلاغة: ((هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والاستعارة والكناية على وجهها))[٢].

٤- **طريقة عرض الحجج:** فقد بحث علماء البلاغة طريقة عرض الكلام وجعلوه من مكونات مفهوم البلاغة، فللبلاغة مفهوم أوسع بكثير من مفهوم تزويق اللفظ وتجميله، بل اختار أبو هلال العسكري تعريفا للبلاغة بيّن فيه أهمية طريقة عرض الكلام في البلاغة فقال: ((البلاغة كل ماتبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن))[٣]؛ لأنَّ البلاغة تهتم بعملية الإقناع والتأثير وليس بترويح النفس فقط، بل قد يكون ترويح النفس آخر مايرمي إليه البليغ، فالكلام إذا كان معرضه أمام المتلقين رثًا خَلِقًا فلا يكون بليغا وإن كان مفهوم المعنى واضح الدلالة، فصورة عرض الخطاب تؤثر في عملية إقناع المتلقي والتأثير فيه.

٥- **لايشترط استعمال الأسلوب الأبلغ بل العبرة بما وافق المقام:** فقد بيّن علماء البلاغة أنَّ البلغاء قد أَجمعوا على أنَّ "الكنايةَ" أَبْلَغُ منَ الإفصاحِ بالذكر، والتعريضَ أَوْقَعُ من التَّصريح، وأنَّ الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأنَّ المجازَ أَبداً أبلَغُ منَ الحقيقة[٤]، ومع أنَّ هذه الأساليب هي الأبلغ ولكننا نرى أنَّ القرآن الكريم لم يستعمل في حجاجه هذه الأساليب فقط، بل تنوعت أساليب الحجاج واختلفت طرائقها، فقد وردت الحقيقة في القرآن الكريم كما ورد المجاز وورد التشبيه بكثرة كما وردت الاستعارة وورد التصريح بالذكر كما وردت الكناية، ولكن علماء البلاغة قصدوا من بيان هذه الأبلغية في الأساليب المذكورة كونها يؤتى بها لإثبات المعنى بالدليل، فطريقة إثبات المعنى بهذه الأساليب أثبت وأقوى، فهي لاتدل على كثرة الفعل وزيادة في المعنى، قال الجرجاني: ((فليستِ المزيةُ في قولهم: "جَمُّ الرماد"، أنّهُ دلَّ على قِرًى أكثرَ، بل المعنى إنك أَثبتَ له القِرى الكثيرَ من وجهٍ هو أَبلغُ، وأوجَبْتَه إيجاباً هو أَشدُّ، وادَّعيْتَه دَعْوى أنتَ بها أَنْطَقُ، وبِصِحَّتها أَوْثَقُ وكذلك ليستِ المزيةُ التي تَراها لقولك: "رأيتُ أسداً" على قولك: رأيتُ رجلاً لا يتميزُ عن الأَسد في شجاعته وجُرأته أنك قد أَفدْتَ بالأول زيادة في مساواته الأسد، بل أن أَفَدْتَ تأكيداً وتشديداً وقوةً في إثباتك له هذه المساواةَ، وفي تقريرِكَ لها، فليس تأثيرُ الاستعارةِ إذن في ذاتِ المعنى وحَقيقَتِه، بل في إيجابهِ والحُكْم به، وهكذا قياسُ "التمثيل"، تَرى المزيةَ أبداً في ذلك تَقعُ في طريقِ إثباتِ المعنى دون المعنى نَفْسِه. فإذا سمعْتَهُم يقولون: إنَّ مِنْ شأنِ هذه الأجناسِ أنْ تُكسِبَ المعاني نبلًا وفضلاً، وتُوجِبَ لها شَرَفاً، وأن تُفخِّمها في نفوسِ السامعين، وتَرْفَع أَقْدارَها عند المخاطَبِين، فإنّهم لا يُريدون الشَّجاعةَ والقِرى وأشباهَ ذلك مِنْ مَعاني الكَلِم المُفْردةِ، وإنما يَعْنون إثباتَ معاني هذه الكلم لمن ثبت له ويخبر بها عنه))[٥]، فهذه الأساليب تفيد إثبات المعنى بالدليل والحجة وبه تميزت عن غيرها، ولهذا يؤتى بها في مقام الحجاج والاستدلال، وهذا لايعني أنَّ أسلوب الحقيقة أو التشبيه مثلا لايصل إلى بلاغة المجاز والاستعارة، وإلا لخلا القرآن الكريم منها، فالعبرة في استعمال الإسلوب الأمثل للمقام، فمقام الوضوح والبيان في القرآن الكريم مثلا يستدعي الحقيقة ولاسيما في العقيدة والتوحيد وإثبات النبوة، ولكل مقصد أسلوبه، ولا مشاحة في تداخل المقاصد بأنَّ يأتي أسلوب على مقصدين

---

(١) مفتاح العلوم/١٦٨.

(٢) المصدرالسابق: ٤١٥.

(٣) كتاب الصناعتين/١/١٦.

(٤) دلائل الإعجاز/٧٠//مفتاح العلوم/٤١٢.

(٥) دلائل الإعجاز/٧١.

أو ثلاثة مقاصد كأن يؤدي أسلوب الوضوح والجمال معا أو الحجاج والجمال والمبالغة جميعا كما في أسلوب الاستعارة مثلا وهكذا.

٦- **لكل طبقة من الناس حجة تناسبهم:** فمقام التأثير في العامي غير مقام التأثير في السياسي ومقام التأثير في الغني يخالف مقام التأثير في الفقير، ولا يكلم سيد الأمّة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السّوقة، ولاالبدوي بكلام الحضري، ولا القريب بكلام البعيد، ولا القاضي بكلام التاجر في السوق، ولهذا فإنَّ المحامي هو أفضل من يعرف كيف يقنع القاضي في المرافاعات بالدليل والحجة المناسبة، وغير المحامي قد يتقن الحجة ولا يعرف كيفية إلقائها أو ترتيبها مثلا، فالوالد أو الولد يحاججان بأسلوب يخالف أسلوب حجج القوم ((وأحسن الذى قال: لكلّ مقام مقال. وربما غلب سوء الرأى، وقلة العقل على بعض علماء العربية؛ فيخاطبون السّوقىّ والمملوك والأعجمىّ بألفاظ أهل نجد، ومعانى أهل السراة؛ كأبى علقمة إذ قال لحجّامه: اشدد قصب الملازم ، وأرهف ظباة المشارط، وأمرّ المسح، واستنجل الرشح ، وخفّف الوطء، وعجّل النّزع، ولا تكرهنّ أبيّا، ولا تمنعنّ أتيّا. فقال له الحجّام: ليس لى علم بالحروب))[١]، ومن لم يراعِ هذا الأمر جهل بمقامات الحجج وجهل بما يصلح فى كلّ موضع من الحجج، بل سيصل الأمر إلى أن ((تعدم فائدة الكلام))[٢]، وحينئذ يذهب المقصود ولو لم يتكلم كان أولى. فهذه مراحل بناء الحجاج حسب مفهوم البلاغة العربية ولاشك أنَّ الأمر يحتاج إلى تتبع أساليب الكلام الحجاجي مع المران والدربة إلى أن يصير إلقاء النص الحجاجي عند المتكلم سهلا من غير كلفة ولاتجشم عناء القول، وأفضل طريق إلى هذا هو تتبع أساليب الحجاج في القرآن الكريم الذي ورد على أفضل مايمكن من أساليب الحجاج مع تيسير اللفظ والعبارة والحذو حذوها مع محاولة اختيار الكلمات القرآنية المناسبة لمقام الحجاج المحكي، وأول الأمر المحاولة وتتبع سنن أساليب الحجاج القرآني والنبوي أيضا.

المبحث الثاني

الإنجاز الحجاجي في حوارات النبي إبراهيم (عليه السلام)

تعد حوارات النبي إبراهيم عليه السلام من أفضل الحورات التي يتجلى فيها الحجاج من حيث طريقة بيان الحجج وعرضها والاستدلال المتنوع بتنوع المقام والمخاطَبين، إذ إنّه (عليه السلام) ((سَلَّمَ قَلْبَهُ لِلْعِرْفَانِ وَلِسَانَهُ لِلْبُرْهَانِ وَبَدَنَهُ لِلنِّيرَانِ وَوَلَدَهُ لِلْقُرْبَانِ وَمَالَهُ لِلضِّيفَانِ))[٣].

وقد واجه النبي إبراهيم (عليه السلام) في حجاجه أربع فئات وهم: الملائكة وأبوه وعامة القوم والملك نمرود، وقد حاجج الثلاثة الأخيرة في موضوع واحد وهو التوحيد ولكن بأساليب متنوعة، التزم فيها مراعاة جانب المقام زمانا ومكانا، فاقتضى مقام الحجاج عنده استعمال بعض الأساليب دون غيرها أو استعمال بعض الألفاظ دون غيرها، ومن ثَمَّ مجاراة الاعتقاد السائد بين قومه في العادات والطقوس الدينية، وجعَلَ من القضايا والمعلومات المسلم بها عندهم مرتكزَ اعتماده في بناء حججه للوصول إلى الإقناع، فمن أهم شروط الحجاج عند بيرلمان هو وجود لغة مشتركة بين المتكلم والسامع، ومعرفة في أي وقت وظرف يمكن استعمال تلك العناصر الحجاجية..[٤].

وقد تنوعت طرائق حجاج سيدنا إبراهيم مع قومه، ويمكن إيجاز هذه الطرائق في ثلاثة اتجاهات كانت متلاحمة منسجمة لايمكن انفكاك بعضها عن بعض إلا من حيث المفهوم والاعتبار، وهذه الاتجاهات الحجاجية تمثلتها المطالب الثلاثة لهذا المبحث وهي:

---

[١] كتاب الصناعتين/٢٩.

[٢] كتاب الصناعتين/٣١.

[٣] مفاتيح الغيب: الامام الرازي ٢٩/١٣.

[٤] ينظر: فلسفة الحجاج البلاغي: ٥٩.

المطلب الأول

استعمال الأنفع في الألفاظ

ويقصد به اختيارسيدنا إبراهيم الألفاظ المناسبة في الكلام في حجاجه كما يقصد به التآلف بين الكلمة وصاحبتها، وكما يأتي:

التماثيل والأصنام والاوثان: استعمل النبي إبراهيم (عليه) السلام مع قومه ثلاثة ألفاظ في أساليب مختلفة دالة على معبودات قومه من دون الله تعالى وهي الأصنام والأوثان والتماثيل، وقد استعمل كل لفظ في مقام مختلف، فالفرق بين الصنم والوثن هو أن الصنم ما كان مصنوعا من حجارة وله جسم على هيئة بشر[١]؛ لذلك ذكر النبي إبراهيم عليه السلام لفظ الصنم في مقام التكسير في قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ ﴾[٢] لأنَّها أجسام فيقع منها الكسرأو هي مناط الكسر، أما الوثن فهو لكل ما يعبد من دون الله أي ليس شرطا أن يكون جسما على هيئة بشر[٣] كالشمس والقمر والكواكب، فذكرها في مقام العبادة، فاقترنت العبادة بالوثن الدال على كل ما يعبد سوى الله أي لاتعبدوا شيئا غير الله كما في قولـه تعـالى:﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ ﴾[٤] وأما التمثال فهو الصُورةُ والجمع التَّماثيل ،فيقال مَثَّل له الشيءَ أي صوَّره حتى كأَنه ينظر إليه وامْتَثله هو تصوَّره[٥]، أي أنّهم يعبدون ما يُصنع ويُصوّر، فذكرها في قوله تعالى:﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ ﴾[٦] إشارةً لزيادة كشف معناها الدال على إنحطاطها عن رتبة الألوهية إذ إنَ التعبير عنها بالتماثيل يسلب عنها الاستقلال الذاتي[٧].فاستعمل سيدنا إبراهيم عليه السلام الأصنام في مقام الكسر والأوثان في مقام العبادة والتماثيل في مقام العكوف واللزوم، لأنَّ كل واحدة من هذه الألفاظ كانت أقوى استدلالا في موضعها التي ذكرت فيه من صاحبتها.

الأفول(اختيار الوقت المناسب لعرض الحجة):أَفَلَ في اللغة بمعنى غاب وأَفَلَت الشمسُ تأْفِل وتأْفُل أَفْلاً وأُفولاً غَرَبت وكذلك القمر وجميع الكواكب[٨]، حينما أراد النبي إبراهيم (عليه السلام) أن يستدل على استحقاق العبودية لله تعالى وحده دون غيره اختـار وقـت الغـروب دون الطلـوع فـي قولـه تعـالى﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ ﴾[٩]؛ لأنَّ الأفول يخدم بيان حجته من أربع منطلقات، وهي:

أ- إنَّ الدليل الذي يحتج به الأنبياء يجب أن يكون ظاهراً جلياً يشترك في فهمه الذكي والغبي والعاقل، فدلالة الحركة على الحدوث أي الطلوع لا يفهمها إلا الأفاضل من الخَلق، أما دلالة الأفول فيعرفها الجميع، فإن الكوكب يزول سلطانه ونوره وقت الأفول ويصير كالمعزول ومن يكون كذلك لا يصلح للإلهية[١٠].

---

[١] ينظر تاج العروس: محمد الزبيدي ٥٢٥/٣٢.

[٢] الأنبياء:٥٧.

[٣] ينظر تاج العروس: ٥٢٥/٣٢.

[٤] العنكبوت: ١٦-١٧.

[٥] لسان العرب: ابن منظور ٦١٠/١١.

[٦] الأنبياء: ٥٢.

[٧] تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور ٩٤/١٧.

[٨] ينظر: لسان العرب: ١٨/١١، تاج العروس: ٧/٢٨.

[٩] الأنعام: ٧٦-٧٨.

[١٠] ينظر مفاتيح الغيب: ٤٣/١٣.

ب- إنّ من كان يناظرهم كانوا منجمين،فاختار سيدنا إبراهيم الوقت المناسب لعرض حجته، فالكوكب عندهم إذا كان في الربع الشرقي وَيَكُونُ صَاعِدًا إِلَى وَسَطِ السَّمَاءِ كَانَ قَوِيًّا عظيم التأثير أما فِي الرُّبْعِ الْغَرْبِيِّ، فيَكُونُ ضَعِيفَ الْقُوَّةِ، نَاقِصَ التَّأْثِيرِ، عَاجِزًا عَنِ التَّدْبِيرِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الْقَدْحِ فِي إِلَهِيَّتِهِ[١].

ت- إنّ الأفول هو غياب وابتعاد عن الناس، وَشَأْنُ الْإِلَهِ أَنْ يَكُونَ دَائِمَ الْمُرَاقَبَةِ لِتَدْبِيرِ عِبَادِهِ يَعْنِي أَنَّ مَا يَغِيبُ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُتَّخَذَ إِلَهًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْ عِبَادِهِ فِيمَا يَحْتَاجُونَهُ حِينَ مَغِيبِهِ[٢].

وقد ((تَرَيَّثَ إِلَى أُفُولِ الْقَمَرِ فَاسْتَدَلَّ بِهِ على انْتِفَاء إلهيته وَلَمْ يَنْفِهَا عَنْهُ بِمُجَرَّدِ رُؤْيَتِهِ بَازِغًا مَعَ أَنَّ أُفُولَهُ مُحَقَّقٌ بِحَسْبِ الْمُعْتَادِ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ الِاسْتِدْلَالَ عَلَى أَسَاسِ الْمُشَاهَدَةِ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي الْعُقُولِ لِأَنَّ الْمُشَاهَدَةَ أَقْوَى))[٣] في الاستدلال وأقصر طريقا في إقامة الحجة على الخصم.

الرزق(اختيار كلمة الرزق): استدل النبي إبراهيم (عليه السلام) بنعمة الرزق دون غيره من النِعَم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ ﴾[٤] وذلك في مقام الاستدلال على بطلان ألوهية الأصنام لسببين: الأول: لأنّه ((سلك مسلك الاستدلال بالنعم الحسية لأنَّ إثباتها أقرب إلى أذهان العموم))[٥]، الثاني: لأنَّ ((من لا يملك الرزق تكون عبادته باطلة..))[٦]. وذلك لحاجة الخلق إلى الرزق وشدة تعلق الناس به، فاختار سيدنا إبراهيم الكلمة المؤثرة في حياة الناس والغالبة في شؤونهم وهي (الرزق).

العكوف أم العبادة: استعمل كلمة (العكوف) بدل العبادة في قوله تعالى:**{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ }**[٧] لما في العكوف مع التماثيل من قيمة حجاجية ، فإن العكوف هو لزوم الشيء والمواظبة عليه، بيد أنَّ معنى العكوف يختلف باختلاف التعلق، فإذا قيل عكف على الشيء فهو بمعنى لزوم الشيء والمواظبة عليه بحيث لايصرف وجهه عنه ويكون مقبلا عليه حسا أو ومعنى، وإذا قيل عكف في المسجد مثلا فهو بمعنى لزوم المكان بسبب وجود (في) الدالة على الظرفية فعكف في المسجد أقام فيه، وإذا قيل عكفه عن حاجته فهو بمعنى صرفه عنها، ويتضح من معنى العكوف في النص القرآني أنه جاء بمعنى المواظبة على التماثيل ولزومها والإقبال عليها المتضمن معنى عبادتها، وقد جاء لفظ العكوف مقطوعا عن متعلقه وهو (على)، فإنَّ (عكف) يتعدى هنا بحرف الجر (على) فلما أراد زيادة الملازمة حذف (على) وأتى بـ(لها) متقدمة على (عاكفون) ليشعر بلزوم الإقبال المستلزم للعبادة فإن العكوف يشمل لزوم الشيء والإقبال عليه مع تضمين معنى العبادة كذلك في أن جعلها لازمة غير متعدية لأن (عكف) يتعدى بحرف الجر (على) فلما أراد زيادة الملازمة حذف (على) وأتى بـ(لها) متقدمة على (عاكفون) ليشعر بلزوم الإقبال المستلزم للعبادة[٨]، ((ففي اختياره لها إيماء الى تفضيع شأن العبادة))[٩]، وقد يكون أراد من عدم تصريحه بلفظ العبادة لتقع الحجة عليهم بأن يصل إلى إلزامهم الحجة بقولهم هم ليبني على قولهم دليلا آخر على بطلان عبادتهم، فجاء بعد(أنتم لها عاكفون) قولهم: ﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ ﴾[١٠]، فألزمهم الحجة

---

[١] ينظر مفاتيح الغيب: ٤٣/١٣.

[٢] ينظر التحرير والتنوير: ٧/ ٣٢٠-٣٢١.

[٣] التحرير والتنوير: ٣٢٢/٧.

[٤] العنكبوت: ١٧.

[٥] التحرير والتنوير: ٢٢٦/٢٠.

[٦] تفسير الباليساني: ١٨٣٦/٤.

[٧] الأنبياء: ٥٢.

[٨] ينظر: الكشاف: ١٢١/٣، البحر المحيط: ٢٣٢/٦.

[٩] روح المعاني: ٥٩/١٧.

[١٠] الأنبياء: ٥٣.

بقولهم هذا الدال على عدم استحقاقها العبادة فإنّهم لم يعبدوها إلا توارثاً، فجاء الدليل المباشر الدال على إبطال عبادتهم وعلى وحدانية الله سبحانه من سيدنا إبراهيم بعد هذه الآية مباشرة فقال:﴿ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ ﴾[١].

السموات والأرض:ضمن مبدأ الأجدى والأنفع اختار النبي إبراهيم (عليه السلام) كلمتي السموات والأرض من بين جميع مخلوقات الله تعالى ليجيب بها على سؤالهم أولا فيما إذا كان من اللاعبين، وليستدل بها على عظمة ربه وقوته وضعف آلهتهم ثانيا، وذلك في قوله تعالى:﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٢]، فقوله رب السموات حجة استدل بها على أنَّ ربّه هو الذي خلق السموات التي يقدسونها ويعبدونها بما فيها من الأجرام والكواكب السماوية، وأما أنه رب الأرض فهو حجة استدل بها على أنَّه رب هذه الأرض التي تصنعون من ترابها وحجارتها ومعادنها تماثيلكم وأصنامكم ليبين أنَّ كل ما يعبدون من أصنام وتماثيل وحتى الأجرام السماوية ما هي إلا مربوبة ومخلوقة مثلهم[٣].فاستعمل سيدنا إبراهيم المشاهدات (السماوات والأرض) أدلة في حججه لسهولة الوصول إلى النتيجة لأنَّ المشاهدات والمحسوسات لاتُكذّب ولايمكن إلا الإذعان لها.

المطلب الثاني: استعمال الأنفع في أساليب حجاج إبراهيم عليه السلام: لكل أسلوب طريقته في الأداء بحسب الاعتبار المناسب له زمانًا ومكانًا وشخصًا، كما أن لكل أسلوب معطياته الدلالية التي تختلف بحسب المقام، فقد يؤدي أسلوب دلالة ما في مقام معين ويؤدي دلالة مباينة في مقام آخر، وقد ذكر السكاكي أنواع المقامات في قوله: ((لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب))[٤] .فتنوع الأساليب مرتبط بتنوع الاعتبارات المناسبة للكلام.ومن الأساليب التي استعملها سيدنا إبراهيم عليه السلام في حجاجه على قومه:

١- **أسلوب الاستفهام:** الاستفهام هو طلب المتكلم من مخاطَبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلا عنده قبل السؤال مما سأله عنه[٥]، وقد يخرج عن معناه لأغراض بلاغية ومقاصدية وحجاجية، فللإستفهام علاقة وشيجة مع الحجاج لأنّه يخلق جوا من التفاعل بين المتكلم والمخاطَب[٦]، إذ إنَّ المخاطِب باستفهامه يُسهم المخاطَب في حجاجه فيتحول من مجرد مستقبل إلى طرفٍ مشارك[٧]، وقد لا يبحث الاستفهام عن إجابة محددة وإنّما يستفسر عن تصور ما للمخاطَب دون أن يستفسر عن شيء[٨]، وقد استعان النبي إبراهيم (عليه السلام) بأسلوب الاستفهام في في عرض حججه ليكون أقوى استدلالاً في إبطال اعتقاداتهم من جهة وإثبات رسالته التوحيدية من جهة أخرى، وقد تنوع في إساليب استعماله للاستفهام باعتبار تنوع الغرض والمقام، منها:

الاستفهام الإنكاري: استعمل سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ ﴾[٩] وهو مكنى عن نفي العلة المسؤول عنها أي كناية عن التعجيز عن إبداء المسؤول عنه[١٠]. فسيدنا إبراهيم أراد أن ينبه أباه إلى صفات المعبود الحق بأن يكون سميعاً بصيرا غنياً، فاستعمل أسلوب الاستفهام الإنكاري للدلالة على أمرين

---

[١] الأنبياء: ٥٤.

[٢] الأنبياء: ٥٦.

[٣] ينظر: التحرير والتنوير: ٩١/١٧.

[٤] مفتاح العلوم/١٦٨

[٥] ينظر: الأشباه والنظائر في النحو: ٦٧/٤٣.

[٦] ينظر: الحجاج في الخطابة النبوية:١٥٢.

[٧] ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٤٣.

[٨] ينظر: البنى الفنية دراسة في شعر مجد الدين النشابسي: ٦٧.

[٩] مريم: ٤٢.

[١٠] التحرير والتنوير: ١١٤/١٦.

في إقامة الحجة: أحدهما: الإنكار على أبيه في عبادة ما لا يستحق العبادة، والثاني: التنبيه إلى صفات المعبود الحق، وكما في قوله تعالى﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[1] فقد استعمل الاستفهام الإنكاري التوبيخي لما يعبدون ما هو من صنع أيديهم فكيف يُعبد ما هو منفعل وليس بفاعلٍ والناحت والمنحون من صنع الخالق؟[2]، ولأن ما الموصولة واسعة الاستعمال[3] استعملها لتدل على النحت والمنحوت دلالة على سفاهة عقولهم،ومن الإنكار والتوقيف على الخطأ كذلك قوله تعالى:﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[4]، وقوله (فما ظنكم..) استفهام توبيخ وتحذير وتوعد[5].

الاستفهام الصُوري: قال تعالى﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[6] فإبراهيم (عليه السلام) كان يعلم أنّهم يعبدون الأصنام ((وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بِالِاسْتِفْهَامِ افْتِتَاحَ الْمُجَادَلَةِ مَعَهُمْ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ هَذَا السُّؤَالَ لِيَكُونُوا هُمُ الْمُبْتَدِئِينَ بِشَرْحِ حَقِيقَةِ عِبَادَتِهِمْ وَمَعْبُودَاتِهِمْ، فَتَلُوحُ لَهُمْ مِنْ خِلَالِ شَرْحِ ذَلِكَ لَوَائِحُ مَا فِيهِ مِنْ فَسَادٍ، لِأَنَّ الَّذِي يَتَصَدَّى لِشَرْحِ الْبَاطِلِ يُشْعِرُ بِمَا فِيهِ مِنْ بُطْلَانٍ عِنْدَ نَظْمِ مَعَانِيهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُشْعِرُ بِذَلِكَ مَنْ يَسْمَعُهُ، وَلِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ جَوَابَهُمْ يَنْشَأُ عَنْهُ مَا يُرِيدُهُ مِنَ الِاحْتِجَاجِ عَلَى فَسَادِ دِينِهِمْ وَقَدْ أَجَابُوا اسْتِفْهَامَهُ بِتَعْيِينِ نَوْعِ مَعْبُودَاتِهِمْ))[7] وهو ما كان يرمي إليه.

الاستفهام التهكمي: والتهكم هو ((إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاءا بالمخاطَب))[8]،استعمل النبي إبراهيم عليه السلام الاستفهام استهزاءا[9] وتهكما حينما وجّه السؤال إلى غيرالعاقل وهي الأصنام التي احتج عليها من قبلُ أنّها لا تسمع ولا تبصر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[10]، وقد يكون سألهم تثبيتا وتقوية لإيمانه والطريق الذي يدعو إليه، وهذا ما سمّاه بيرلمان بعملية التفكير الذاتية فيكون الحجاج ذاتيا أي المخاطَب شخص واحد يقوم خلالها بفحص منافع القضية[11].

الاستفهام التعجبي: حينما استفهم النبي إبراهيم (عليه السلام) عن بشارة الملائكة له بالولد متعجباً في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[12]فتعجب لأنّها بشارة فيما لا يتصور في العادة[13] لأنَّ سنَّه قد تجاوز سن الإنجاب في معرفة الناس البعيدة عن غيب الله تعالى، وكذلك تعجب إمرأته جاءت في صيغة استفهام حينما قالت:﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾[14] ثم أكدت تعجبها لفظا بقولها (عجيب).

الاستفهام الإنشائي: وهو استفهام مراد به إنشاء يراد به الطلب أو التحذير أو التذكير أو أي غرض آخر غير السؤال[15]، كما في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1] أي إعقلوا، وكذلك في

---

[1] الصافات: ٩٥.

[2] ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٥/٢٣، تفسير البحر المحيط: ١١٢/٩.

[3] ينظر: معاني النحو: ١٣١/١.

[4] الصافات ٨٦-٨٧.

[5] البحر المحيط: ١١٠/٩.

[6] الشعراء: ٧٠-٧١.

[7] التحرير والتنوير: ١٣٨/١٩.

[8] الطراز لأسرار البلاغة: ٩١/٣.

[9] ينظر: البحر المحيط: ١١١/٩.

[10] الصافات: ٩١-٩٢.

[11] ينظر: فلسفة الحجاج البلاغي : ١٦.

[12] الحجر ٥٤.

[13] الكشاف: ٥٨٠/٢.

[14] هود: ٧٢.

[15] ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢م٢١٠.

قولـــه﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾[٢] أي تذكّروا.

التقديم والتأخير: وهو تقديم اللفظ أو تأخيره من مكانه إلى مكان آخر، وهو على نوعين: تقديم على نية التأخير وذلك أن يبقى كل من المقدَّم والمؤخَّر على حكمه الذي كان عليه قبل التقديم والتأخير كتقديم الخبر على المبتدأ في نحو: منطلقٌ زيدٌ، وتقديم لا على نية التأخير بأن تنقل الشيء من حكم إلى حكمٍ آخر فتجعل له باباً غير بابه وإعرابا غير إعرابه، كقولنا: زيدٌ المنطلق والمنطلق زيدٌ فلم نقدم (المنطلق)ههنا على أن يكون متروكا على حكمه وإنّما لأننا أردنا تغيير حكمه من خبرٍ إلى مبتدأ[٣]،وحينما رأى قوم إبراهيم ما فُعِل بآلهتهم من التكسير والتحطيم استفهموا عن الفاعل وليس عن الفعل في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ ﴾[٤] لأنَّ الفعل قد وقع فلم يقولوا (أ فعلتَ) وإنما قالوا (أ أنت) لأنَّه ((كان قد ردَّدَ الفعلَ بينهُ وبين غيره، ولم يكُنْ منهُ في نفيِ الفعلِ تردُّدٌ، ولم يكنْ كلامُه كلامَ مَنْ يُوهم أنه لا يَدْري أَكانَ الفعلُ أمْ لم يَكُنْ، بدلالةِ أَنك تقولُ لك والفعلُ ظاهرٌ موجودٌ مشارٌ إليهِ))[٥] أمامهم فكان غرضهم التقرير وإلزام سيدنا إبراهيم الحجة بأنه هو الفاعل فقدموا الفاعل دون الفعل وهو من القسم الأول في التقديم أي تقديم لاعلى نية التأخير، وقد كان لهذا الأسلوب الحجاجي قيمته في إلزام الحجة على القوم فيما ذكره سيدنا إبراهيم كما يأتي تاليًا.

أسلوب القصر: القصرعلى ثلاثة أنواع وهي: قصر الإفراد وقصر القلب وقصر التعيين، وقد استعمل سيدنا إبراهيم قصر القلب وهو إثبات المتكلم عكس الحكم لدى المخاطب[٦]، فيقوم المتكلم بهذا القصر بعكس الحكم الذي في اعتقاد المخاطَب، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾[٧] قدم الحال من الأوثان (من دون الله) على الأوثان لأنَّ قوم إبراهيم وصفوا بالشرك كمشركي العرب أي إنّهم يعبدون تلك الأوثان على أنها آلهة لا على أنها تماثيل وصور، فأراد إبراهيم (عليه السلام) أن يستدل على شركهم وعلى أنهم يعبدون غير الله صورا لا إدراك لها فيكون قصر القلب أقوى استدلالا في إبطال إعتقادهم ألوهية تلك الصور والتماثيل[٨].

٢- **أسلوب المجاز**: المجازهو ((الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة على نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع))[٩].والاستعارة نوع من المجاز على طريق المشابهة،والاستعارة اسلوب يؤتى به بادعاء أن المشبه داخل في حقيقة المشبه به مثل قولنا: (رأيت الأسد في القاعة مستمعا إلى الأستاذ) فقد ادعينا أن ذلك الشخص يشبه الأسد وذلك بدعوى كونه فردا من أفراد حقيقة الأسد[١٠].

وقد عزم النبي إبراهيم (عليه السلام) على إظهار الحق بالطريقة الفعلية والإنجاز في الواقع فقال لهم قَالَ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ ﴾[١١] فاستعمل الكيد وهو ((إرادة مضرة الغير الخفية))[١٢] بدل التكسير للأصنام على

---

(١) الأنبياء: ٦٧.

(٢) الأنعام: ٨٠.

(٣) دلائل الإعجاز:١٠٦-١٠٧.

(٤) الأنبياء: ٦٢.

(٥) دلائل الإعجاز: ١١٤.

(٦) ينظر: المطول: ٤٠.

(٧) العنكبوت: ١٧.

(٨) التحرير والتنوير: ٢٢٤/٢٠.

(٩) مفتاح العلوم: ٣٥٩.

(١٠) مفتاح العلوم/٣٦٩

(١١) الأنبياء: ٥٧.

(١٢) التعريفات: لعلي بن محمد الجرجاني ٢٤١.

الاستعارة أو المشاكلة التقديرية–((وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته))[١]– وذلك ((لِاعْتِقَادِ الْمُخَاطَبِينَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ تَدْفَعُ عَنْ أَنْفُسِهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمَسَّهَا بِسُوءٍ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْكَيْدِ))[٢] فالأصنام لا تشعر سواءا أ كانت المضرة خفية أم ظاهرة، ولكن توسعاً ومجاراةً لاعتقادهم أن الأصنام تدفع عن نفسها فإن أراد أحدهم إلحاق الضرر بهم فذلك إنما يكون على سبيل الكيد. ولعل القول بالمشاكلة التقديرية أولى هنا لاقتضائها دليلا وحجة عليهم في أنها لاتستطيع أن تدفع عن نفسها وأنه عليه السلام سينجز فعله في الأصنام من دون أن تدفع عن نفسها شيئا.

أسلوب التعريض: لما سُئِل النبي إبراهيم (عليه السلام) عمّا إذا كان هو الذي حطم آلهتهم﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[٣] فجاء جوابه بـ((أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة))[٤] على وحدانية الله تعالى وانتفاء ألوهية الصنم الكبير وانتفاء ألوهية الأصنام المحطمة، فإسناد الفعل إلى الصنم الكبير كان احترازا عن تصريحه لثلاث جمل وهي[٥]:

١- أنّ هذه الآلهة لا تنطق.

٢- لو كانت آلهة لدفعت عن نفسها.

٣- ولو كان كبيرهم كبير الآلهة لدفع عن حاشيته.

فلو أنّه (عليه السلام) صرّح بهذه الجمل لكذّبوه واعتبروا كلامه ادّعاءا، لكنه أراد أن تكون النتيجة صادرة منهم أنفسهم وهو قولهم ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[٦] ليحتج على قولهم ((فيقول: فكيف تعبدون ما يكسر ويفتت ولا يقدر أن يدافع عن نفسه..))[٧].

ومن ثَمَّ جعل النتيجة التي وصل إليها وهو عدم نطقهم مقدمة إلى نتيجة أقوى والتي هي المقصد الأسنى والغاية القصوى من الحجاج وهو أنهم لا ينفعون ولا يضرون فقال:﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾[٨] شيئا فإذا لا يستحقون العبادة.

ومما استخدم فيه **التعريض** دون التصريح كذلك قوله:﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[٩] فهذه الأوثان ليست أعداء له فقط وإنّما هي أعداء لهم ولكل من يعبدها كذلك ((لكنه صور الأمر في نفسه تعريضاً لهم فإنه أنفع في النصح من التصريح، وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول))[١٠].

أسلوب الكناية: الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور على المتروك لينتقل منه على ما هو ملزوم[١١]، وقد استعمل سيدنا إبراهيم (عليه السلام) أسلوب الكناية في حجاجه مع أبيه في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ

---

[١] مفتاح العلوم: ٤٢٤.

[٢] التحرير والتنوير: ٩٧/١٧.

[٣] الأنبياء: ٦٢.

[٤] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٢٤/٣.

[٥] ينظر التحرير والتنوير: ١٠١/١٧.

[٦] الأنبياء: ٦٥.

[٧] تفسير الباليساني المعروف في حسن البيان في تفسير القرآن: ١٦٣٨/٤.

[٨] الأنبياء: ٦٦.

[٩] الشعراء: ٧٥-٧٧.

[١٠] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٤١/٤.

[١١] ينظر: مفتاح العلوم: ٤٠٢.

ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾﴾[1]، ولاشك أنَّ أباه كان يعبد الأصنام، وإنَّما كنّى عنها بعبادة الشيطان لأسباب ثلاثة هي:

أ- إنّ وسوسة الشيطان هي التي تُخرج المرء عن طريق الحق.

ب- لما كان نسبة الضلال والفساد إلى الشيطان مقررة في نفوس البشر استدلّ به على فساد هذه الأصنام لأنّ عبادتها من عمل الشيطان.

ت- للإيجاز أي بدل أن يقول لا تعبد الأصنام لأنها من وساوس الشيطان والشيطان عاصٍ لله[2]، فاستعمل أسلوب الكناية فذكر الملزوم وأراد به اللازم، لقوة هذا الاستدلال في إلزام الخصم لأن المخاطب سيصل إلى النتيجة بنفسه عن طريق تصور اللازم من الملزوم.

المطلب الثالث

طرائق عرض الحجج عند إبراهيم عليه السلام

طريقة عرض الحجج تختلف باختلاف الزمان والمكان والفئة التي يقع معها الحجاج، وقد ذكر علماء البلاغة مقامات عرض الحجج من حيث متطلبات الاعتبار المناسب للمتلقي كما ذكروا أنَّ الكلام يختلف باختلاف قابلية الشخص ونوعه،قال السكاكي في معرض كلامه عن الاعتبار المناسب لكل أسلوب ((وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر))[3]، وقد سلك سيدنا إبراهيم طرائق متنوعة في عرض حججه على وفق نوع المحاجَج ذاتًا وقناعة وتأثيرا في الآخرين، وكما يأتي:

الانتقال في عرض الحجج مع الملك نمرود مع تضمين أسلوب المقابلة: لما كان عرض الحجج وقوة الاستدلال مرتبطين بالمقام والمقال وبنوع المخاطَب، كان التغيير واضحا في أسلوب النبي إبراهيم في حجاجه مع الملك نمرود دون قومه ضمن طريقة حجاجية يمكن أن نسمها بطريقة المقابلة، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[4]، إذ إنّه (عليه السلام) لم يلجأ إلى الاستفهام والإنكار والنصيحة والوعيد كما فعل مع أبيه وقومه؛ لأنَّ الملك نمرود لم يكن معترفا بوجود الله أصلا فقط كان كافرا بأنْ جعل من نفسه إلها يعبده قومه فهو كان ضالا ومُضِلا؛ فحينما حاجّه النبي إبراهيم (عليه السلام) لم يحاججه في العقيدة وإثبات التوحيد لأجل أن يَسلم ويؤمن، ولكنه حاجّه في القدرات الإلهية لأجل أن يُهزم ويُخزى أمام قومه، فأول حجة ألقاها عليه هي الإحياء والإماتة فقال (ربي الذي يحيي ويميت) ويقصد به إحداث ما لم يوجد فلما ردَّ عليه نمرود بأنه هو أيضا يحيي ويميت –وتنوعت التأويلات في مقصوده ههنا– انتقل (عليه السلام) إلى حجة أقوى في الاستدلال على عدم ربوبيته في أنها حجة حسية من جهة وظاهرة يومية متكررة أقرب إلى نفوس العامة والخاصة من جهة أخرى، فضلا عن أنَّهم كانوا يعبدون الشمس ويقدسون حركة الكواكب السماوية ويعزون كل المحدثات إليها فقال: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ أي هو محدثها فلمّا عجز بُهِت[5]، ويلحظ هنا القيمة الحجاجية للروابط النصية، فإن (الفاء) العاطفة بين الجمل تفيد التعقيب وكذا تفيد السببية غالبا[6]، أي يكون ماقبلها سبب لما بعدها، فقد جعل سيدنا إبراهيم كلام النمرود مقدمة لحجة بالغة

---

[1] مريم: ٤٤.

[2] التحرير والتنوير: ١١٦/١٦.

[3] مفتاح العلوم/١٦٨

[4] البقرة: ٢٥٨.

[5] ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٣/٧، الكشاف:١/ ٣٠٤، البحر المحيط: ٢١٤/٢.

[6] مغني اللبيب:٢١٥/١

فلما قال النمرود(أنا احيي وأميت) بنى عليه السلام حجته على هذا الكلام فقال: (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فإت بها من المغرب) ثم وقع الرابط نفسه في موقع إلزام الحجة في قوله تعالى (فبهت الذي كفر)، فقد استعمل سيدنا إبراهيم أسلوب المقابلة بين ربّ إبراهيم عليه السلام والنمرود لإفساح المجال للعقل في أن يحكم بعد هذه المقارنة المعتمدة على المشاهدات والحسيات التي لايمكن دفعها عن النفس.

٢-التنوع الحجاجي في خطابه مع أبيه: محاججة النبي إبراهيم (عليه السلام) لأبيه في إظهار التوحيد تنوعت واختلفت عن محاججته لقومه، فقد جاء حجاجه مع أبيه مشتملا على ثلاث مسائل وهي:

المسألة الأولى: التأدب واللين في الكلام: فقد تلطف إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه مراعاة لحق الأبوة، فاستعمل كلمة (يا أبتِ) قبل كل جملة أو حجة ألقاها على أبيه قضاءاً لحق الأبوة، احسانًا لأبيه أولا ودليلا على شدة الحب والحرص على صونه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب ثانياً، ولعلمه (عليه السلام) بتحقير أهل الجهالة للصغير كيفما بلغ حاله من الحِذَق وخاصة الأباء مع أبناءهم فتوجّه بخطاب الأبوة إيماءاً إلى أنّه مخلص له النصيحة[١]، وذهب النحاة إلى أنَّ حرف (التاء) في يا (أبتِ) أضيفت للتفخيم[٢]، فضلا عن أنه لم يتهمه ((بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال: إنَّ معي طائفة من العلم ليست معك))[٣] لكنه عندما حادثه مع قومه قال {إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[٤]، ثم استفاد من معلومة مسلمة أخرى وهي نسبة الفساد والعصيان للشيطان ولذلك حينما نهاه عن عبادة الأصنام أسند فعله إلى الشيطان مباشرة دون الأصنام.

المسألة الثانية: التدرج في عرض الحجج: سلك النبي إبراهيم عليه السلام منهجاً تدريجياً في حجاجه مع أبيه:

١- الانتقال بين الحجج الحسية والعقلية، حيث بدأ بالاستفهام عن ثلاث صفات هي موضع شك وجهل عندهم {يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا}[٥] إثنان منها حسية (السمع والبصر) والأخيرة (لا يغني عنك شيئا) عقلية، فابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحس (السمع والبصر)[٦]، فالمعبود الذي لا يبصر ولا يميز من يطيعه ومن يعصيه ومن لا يسمع الدعاء (وهو مخ العبادة) فيستجيب ومن لا يضر ولا ينفع فأيّ فائدة ومنفعة في عبادته ولما كان الإنسان موصوفا بالسمع البصر الضر النفع كيف يعبد الوثن الذي لا يتصف بصفاته فيعبد الأفضلُ الأخسَ؟[٧].

الانتقال من أسلوب الإثارة العقلية الممزوجة بالحث على الفعل السليم (الاستفهام الإنكاري) إلى أسلوب الواقع المقرر غير القابل للجدل والحجاج، وذلك عن طريق الإخبار المؤكَّد،فقد قال أولا(لم تعبد..) في اسلوب استفهامي على سبيل الإنكار ثم انتقل إلى اسلوب الإخبار المؤكد القاطع للشك فقال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ ﴾[٨] فذكر ما هو ثابت ومقررٌ عنده وعند غيره على ((أَنَّ أَحَقِّيَّةَ الْعَالَمِ بِأَنْ يُتَّبَعَ مَرْكُوزَةٌ فِي غَرِيزَةِ الْعُقُولِ لَمْ يَزَلِ الْبَشَرُ يَتَقَصَّوْنَ مَظَانَّ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ لِجَلْبِ مَا يَنْفَعُ وَاتِّقَاءِ مَا يَضُرُّ))[٩]. فكانت تلك معلومة مسلّمة عند أبيه بنى عليها النبي إبراهيم مقدمته الحجاجية، بالإضافة إلى أنه لم يتهمه ((بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال: إنَّ معي طائفة من العلم ليست معك))[١٠] لكنه عندما حادثه مع قومه قال﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ ﴾[١١]، ثم استفاد من معلومة

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب: ٢١/٥٤٤-٥٤٤.

[٢] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١/٣٩١.

[٣] التحرير والتنوير: ١٦/١١٥.

[٤] الأنعام: ٧٤.

[٥] مريم: ٤٢.

[٦] ينظر: التحرير والتنوير١٦/١١٤.

[٧] ينظر: مفاتيح الغيب: ٢١/٥٤٣.

[٨] مريم: ٤٣.

[٩] التحرير والتنوير ١٦/ ١١٥-١١٦.

[١٠] التحرير والتنوير: ١٦/١١٥.

[١١] الأنعام: ٧٤.

مسلمة أخرى وهي نسبة الفساد والعصيان للشيطان ولذلك حينما نهاه عن عبادة الأصنام أسند فعله إلى الشيطان مباشرة دون الأصنام.

المسألة الثالثة: التأثير العاطفي (الدعاء والاستغفار): قابل النبي إبراهيم (عليه السلام) نفور أبيه من الهجران والرجم بالأستغفار له عند ربه﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾[1] وكأنّه يريد أن يقول له: إنَّ ربي الذي تنكره هو أرحم بي من أبي الذي قابلني بالهجران.

الخاتمة

يمكن أن نوجز أهم نتائج البحث بما يأتي:

١- لايمكن أن نقصر البلاغة في الحجاج كما لايصح أن نعدّ الحجاج فنّا بلاغيا قسيما للتشبيه والاستعارة وغيرهما من فنون البلاغة مثلا كما أنه ليس أسلوبا كلاميا مثل أسلوب الاستفهام والتعجب والنداء مثلا، ولهذا فمن التجوز أن نقول أسلوب الحجاج لأن الحجاج هو طريقة في الكلام تسري في الخطاب من أجل تحصيل غرض التأثير والإقناع ثم إلزام المتلقي على إنجاز المطلوب.

٢- لقد أبانت البلاغة العربية عن طريقة بناء الحجاج الصحيح السليم في اختيار اللفظ المناسب والأسلوب المناسب وطريقة عرض الحجج فلكل فئة طريقة تناسبهم لتحصيل مقصد الحجاج.

٣- غلب في الخطاب الحجاجي لسيدنا إبراهيم اختيار الألفاظ الظاهرة الدالة على المشاهدات و الحسيات مثل أفل والرزق والسموات والأرض وغيرها ليكون الخطاب أدل حجاجا وأوضح بيانا للمخاطب.

٤- تنوعت الأساليب اللغوية المستعملة في حجاج سيدنا إبراهيم على وفق نوع المحاجَج وعلاقته بالمحاجِج وقوة تأثيره في الآخرين، ولكن كان لأسلوب الاستفهام بمعطياته المتنوعة الأثر الواضح في أكثر الخطابات الحجاجية لما يتسم به هذا الأسلوب من معان ثرة مكثفة.

٥- كما تنوعت طرائق عرض الحجج بحسب نوع المحاجِج وتأثيره والفئة التي ينتمي إليها، فقد جاء حجاج سيدنا إبراهيم مع أبيه مباينا لحجاجه مع النمرود ومع قومه، فاستعمل التدرج الحجاجي للوصول إلى مقصده وهو الخضوع للتوحيد.

٦- إنَّ الحكم في اختيار الألفاظ وتنوع الأساليب في حوارات سيدنا إبراهيم كان للمقام، فالمقام هو الذي اقتضى اختيار لفظ أو أسلوب دون آخر لقوة استدلاله.

٧- غلب في الخطاب الحجاجي عرض الحجج الحسية قبل العقلية والمشاهدة قبل المدركة بالفكر، لأن البناء على المشاهد أسهل من البناء على العقلي الذي لايدركه إلا العاقلون.

٨- استعمل سيدنا إبراهيم الحجاج التقابلي وهو طريقة في الحجاج فريدة لتسهل المقارنة ثم الخضوع للصواب، كما في حجاجه مع النمرود.

المصادر والمراجع

١- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي ت(٩١١)، ت: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، م٢٠٠٦.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت(٦٨هـ)، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٣- الإيضاح في علوم البلاغة: جمال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)،شرح وتعليق وتحقيق د.عبدالمنعم خفاجي وجماعته، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

٤- البرهان في المنطق:اسماعيل بن مصطفى المعروف بشيخ زادة الكلنبوي(١٢٠٥هـ)،مطبعة السعادة،مصر

[1] مريم: ٤٦-٤٧.

٥- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت،٢٠١٤.
٦- البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة:د.عبد الله الصولة،(بحث ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته):إشراف د.حافظ اسماعيلي علوي،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن،٢٠٠٩.
٧- البنى الفنية في شعر مجد الدين النشابي، فارس ياسين الحمداني، دار غيداء، ط١، ٢٠١٣.
٨- البيان في إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول، دار المعارف، مصر
٩- البيان والتبيين: أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣
١٠- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ت(١٢٠٥هـ)، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت.
١١- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت(١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٢- تفسير الباليساني المعروف في حسن البيان: محمد طه الباليساني ت(١٩٩٦م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٦.قام بجمعه ومراجعته د.حسين محمد الباليساني ود.أحمد محمد الباليساني
١٣- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، ط١،٢٠٠١م.
١٤- الحجاج في الخطابة النبوية: د. عبد الجليل العشراوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٢.
١٥- الحجاج في اللغة:د.أبو بكر العزاوي(بحث ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته): إشراف د.حافظ اسماعيلي علوي،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن،٢٠٠٩.
١٦- خصائص الأسلوب في الشوقيات: محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، د.ط، ١٩٨١م.
١٧- الخطابة:أرسطوطاليس(٣٢٢ ق.م)،تحقيق وتقديم د.عبد الرحمن بدوي،دار القلم،الكويت،١٩٨٠.
١٨- دلائل الإعجاز: عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ) علق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر ط١، ١٩٩١م.
١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٠- السلالم الحجاجية: أوزفالد ديكرو،(بحث ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته): إشراف د.حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن،٢٠٠٩.
٢١- سوسيولوجيا الثقافة/٢٥، الطاهرلبيب، سوسيولوجيا الثقافة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط١-١٩٧٨.
٢٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ت(٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٢٣- شرح كافية ابن الحاجب المعروف بشرح الرضي عالكافية: رضي الدين الاستراباذي ت(٣٤٧هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، د.ط، ١٩٧٨م.
٢٤- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي، ت: د. عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، م٢٠٠٨.
٢٥- فلسفة الحجاج البلاغي(نصوص مترجمة لشاييم بيرلمان):ترجمة أنوار طاهر،مراجعة وتقديم دكتور أبو بكر العزاوي،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن،ط١ ، ٢٠١٩.

٢٦- في لسانيات البلاغة العربية:الأستاذ الدكتور نشأت علي محمود،(ضمن كتاب بحوث في بلاغة القرآن والبلاغة العربية)،مطبعة روداو ،أربيل،٢٠١٨

٢٧- كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت(٨١٦هـ)، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، -١٩٨٣م.

٢٨- كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو٣٩٥هـ)، تحقيق:علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ

٢٩- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت.

٣٠- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي:د.طه عبد الرحمن،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط١ ، ١٩٩٨.

٣١- اللغة والحجاج:د.أبو بكر العزاوي، العمدة ف يالطبع،منتديات سوق الأزبكية،مصر،٢٠٠٦.

٣٢- المثل السائر: ضياء الدين بن محمد بن الأثيرالموصلي (ت٦٣٧هـ)،المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م.

٣٣- المطول شرح تلخيص المفتاح: سعد الدين مسعود التفتازاني ت (٧٩٢)، معه حاشية العلامة السيد الشريف الجرجاني ت(٨١٦)، صححه: احمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط١، م٢٠٠٤.

٣٤- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي،دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.

٣٥- مفاتيح الغيب:فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي،دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٣٦- مفتاح العلوم: أبويعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي (ت٦٢٦هـ)، ضبطه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣

٣٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

ملخص

تطور الدرس الحجاجي الحديث كثيرا بعد أن تداخلت الاختصاصات الإنسانية وتوسعت مباحث العلوم الاجتماعية وتنوعت اتجاهاتها ولكنها جميعا أقرت بحاجتها إلى الدرس الحجاجي ولاسيما في مجال القانون والإعلام والسياسة واللغة فضلا عن حاجة الدين إليه،لما يمثله الدرس الحجاجي من دراسة فاعلية الحجاج وطريقة عرض الحجج ودراسة تقنيات الخطاب – بأشكاله كافة وإن كان نصا قصيرا– من أجل التأثير في الجمهور المخاطب،لقد رأى بيرلمان الفيلسوف القانوني –الذي تنسب إليه نظرية الحجاج البلاغي– أن من أهم وظائف الحجاج البلاغي تحقيق التوافق فيما بين الجمهور من أجل تحقيق الالتزام تجاه القضايا المطروحة لغرض الاتفاق عليها،ولاشك أن هذا الأمر يحقق سلمية المحاورات كافة في جو من الحرية والقناعة العقلية مع تحصيل نتائجها المقصودة من الحث على العمل أو الاقتناع بالفكرة أو إلزام المخاطب – سواء كان فردا أو جمهورًا– بالعمل وفق نظرة المتكلم بعد إذعانه بالفكرة عبر الحجج السليمة الصحيحة،ولاشك أن الدرس الحجاجي هو درس لساني لغوي بامتياز ولكنه بسبب الغرض الذي يستهدفه وقدرته على استيعاب أي موضوع مادام في دائرة الاحتمالات أي في دائرة المقدمات غير اليقينية فإن الدرس الحجاجي صار وجهة الباحثين في الشريعة والقانون والإعلام وعلم النفس والفلسفة وغيرها من العلوم الإنسانية. ولقد نبهت هذه النظرية الباحثين في اللغة العربية على ماتختزنه البلاغة العربية من موضوعات حجاجية استدلالية، فالاستدلال والاحتجاج وجهة أكثر فنون البلاغة ومقصدها لأن الاستدلال وبيان الحجة له مقام لاينفك عنه المتكلم، بل قصر بعضهم البلاغة على (البصربالحجة) وطريقة عرضها واستبعد أن تكون البلاغة ميدانا لتزويق الألفاظ وتنميقها فقط ، ولكن علماء البلاغة لم يحصروا فنون الحجاج ومسائله تحت هذا المسمى بسبب سعة مباحث البلاغة ومقاصدها التي يصعب حصرها ولكنهم لم يألوا جهدا في الإشارة إلى بيان أهميته وبيان مسارات الاستدلال والحجاج وتثبيت مواضعه من فنون البلاغة،فكان تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي والحجاجي مرتبطا ارتباطا وثيقا بكثير من فنون البلاغة،ولما كانت أكثر فنون البلاغة العربية قد نشأت من نبع القرآن الكريم على مابينه علماء إعجاز القرآن كالخطابي والرماني والباقلاني وغيرهم فقد توجه النظر إلى طرائق الحجاج القرآني ومسالك الاستدلال فيه لتتكون عندنا معرفة سليمة وصحيحة في طريقة

الحجاج الإقناعي المؤثر في المخاطب،ولاسيما أن القرآن الكريم قد حفل بحجاجات واقعية فلم تكن حجاجاته نظرية تجريدية كما بحثتها الفلسفة مثلا،كما أنَّ القرآن الكريم احتوى الحجاجات المتنوعة والمحاورات المختلفة على مستوى عرض الحجج أو طريقة بنائها أوأنواعها وذلك عن طريقة التمثيل والتشبيه الذي يدعو المتلقي الوصول إلى النتيجة بنفسه أوباستعمال اللوازم العقلية والعرفية وطبيعة الأدلة وقوتها ولزومها على المخاطَب واستعمال تقنيات الحجاج اللغوية المتنوعة وتنوع مستويات المخاطبين بين الفرد والجماعة مع مراعاة الحال والمقام العرفي والنفسي والثقافي للمخاطَب، وقد مدح الله سبحانه الحجة حين تكون عن علم فقال الله تعالى(وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) فأضافها إلى نفسه تفخيما لها وتعظيما ثم بيّن أنها نعمة محمودة بقوله (آتيناها) ثم بيّن أنّ المحاجج –بالحق– من أهل الرفعة والدرجات العلى، وقد توجه الباحثان إلى دراسة تطبيقية على نصوص قرآنية تمثلت في حوارات سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لتكون هذه الدراسة منارة في التعريف بطريقة الحجاج السليمِ الصحيح المؤثر في المخاطب على سبيل الإقتناع أو الإلزام، وقد نظر علماؤنا إلى الحجاج القرآني وعدُّوا وروده من أنواع إعجازه ولكن الحجاج القرآني يبقى متفردا ويمكن أن يكون مسارا لتعلم طريقة الحجاج كما قلنا من قبل فقد ورد الحجاج القرآني على ماهو مشهور في خطابات الجمهور من الناس فهو واضح بيّن ليفهمه العالم والمتعلم والصغير والكبير بل العامي أيضا، ،قال الله تعالى(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)، كما أن الحجاج القرآني قد سلك طريقة عرض الحجة بالدليل الجلي غير حافل بالأغمض والأدق والعويص، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأَقلّون، فجاءت مخاطباته سبحانه وتعالى في محاجة خَلْقه في أجلى صورة، ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتَفْهَم الخواص من أثنائها ما يربي على ما أدركه فهم الخطباء، وبسبب طبيعة البحث فإن هذه الدراسة يمكن أن تفيد المحامي والقاضي في المرافعات والمداولات كما تفيد الإعلامي في محاوراته فضلا عن أهل الشريعة في إثبات القضايا الدينية السليمة،فجاءت هذه الدراسة في تمهيد ومطلبين:فأما التمهيد فقد جاء ليبين مفهوم الحجاج البلاغي والألفاظ الجارية على هذا المعنى مثل الجدل والمحاورة والمناظرة وبيان المقاربات بين هذه الاصطلاحات،ثم جاء المحور الأول بعنوان(الحجاج مبادئه وفاعليته) ليبحث آليات الحجاج وطرائق عرض الحجج وأنواعها والتقنيات اللازمة فيها وطريقة التحول من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية المقنعة أو الملزمة للخصم،وأما المحور الثاني فكان في الدراسة التطبيقة في حوارات سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم التي اتسمت بخصائص فريدة في طريقة عرض الحجج وأضربها بحيث كانت على وفق نوع المتلقي،فقد حاور سيدنا إبراهيم نفسه وحاور الملائكة وأباه والملك وقومه،ليخلص البحث بعد هذا إلى أهم النتائج التي تمخضت ولاسيما من الدراسة التطبيقية.

Abstract

The modern argumentation study has remarkably developed following the overlap of human disciplines, expansion of social sciences and variation of their directions. Nevertheless, they all recognize the need for argumentation study, especially in the fields of law, media, politics, language as well as the need for religion to it, since argumentation is represented in the study of the effectiveness of argumentation, the presentation of arguments and the study of speech techniques – in all it is forms regardless of being a short text – in order to influence the audience Perelman, the philosopher of law - to whom the theory of rhetorical argumentation is attributed – thinks that the most important functions of rhetorical argumentation to achieving consensus among the public in order to fulfill the obligation towards the issues that are raised for the purpose of agreement.

Undoubtedly this achieves peaceful dialogues in an atmosphere of freedom and mental conviction with the achievement of the intended results of the urge to work, conviction of the idea or obligation of the addressee - whether individual or audience - to work according to the speaker after being convinced by the correct and sound arguments. Owing to its significance, argumentation study has become the subject of scholars in Sharia, law, media, psychology, philosophy and other human sciences.

Thus, due to the nature of the research, this study can benefit lawyers and the judges in the pleadings and deliberations, the media men in the interlocutions as well as the people of the

Sharia in the establishment of sound religious issues. This study is therefore divided into a preamble and two chapters. The preamble presents the concept of rhetorical argumentation and other terms of this meaning such as controversy, dialogue and debate, and highlights the approaches of these terms.

The first chapter is entitled “Argumentation: its principles and effectiveness” that discusses the methods of presenting arguments and their types, and the way of transition from a weak argument to a strong argument that convinces or binds the opponent. The second chapter, on the other hand, is the applied study in the dialogues of Prophet Abraham, peace be upon him, in the Holy Quran, which were characterized by unique features in the way the presenting the arguments and their types that they were according to the type of the recipient; he spoke to himself, to the angels, his father, the king and his people. Finally, the study is concluded with the most important results, especially in terms of the applied study